دُعَاة السُّوبَر مَاركت

الجُذُورُ الأمْرِيكِيَّةُ للدُّعَاةِ الجُدُدِ

دُعَاة السُّوبَر مَاركت

الجُذُورُ الأَمْرِيكِيَّةُ للدُّعَاةِ الجُدُدِ

وائل لطفى

الطبعة الأولى / ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م

حقوق الطبع محفوظة

دار العين للنشر
٤ ممر بهلر - قصر النيل - القاهرة
تليفون: ٢٣٩٦٢٤٧٥ ، فاكس: ٢٣٩٦٢٤٧٦
E-mail: elainpublishing@gmail.com

الهيئة الاستشارية للدار
أ.د. أحمد شوقي
أ. خالد فهمي
أ.د. فتح الله الشيخ
أ.د. فيصل يونس
أ.د. مصطفى إبراهيم فهمي
المدير العام
د. فاطمة البودي

الغلاف: عبد الرحمن الصواف

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠١٨/٢٥٣٠٣
I.S.B.N 978 - 977 - 490 - 533 - 9

دُعَاة السُّوبَر مَاركت

الجُذُورُ الأمْرِيكِيَّةُ للدَّعَاةِ الجُدُدِ

وائل لطفى

دار العين للنشر

دار الكتب والوثائق القومية

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

لطفى، وائل

دعاة السوبر ماركت: الجُذُورُ الأمْرِيكِيَّةُ للدُّعَاةِ الجُدُدِ/ وائل لطفى.

الإسكندرية: دار العين للنشر، ٢٠١٩

ص؛ سم.

تدمك: ٩ ٥٣٣ ٤٩٠ ٩٧٧ ٩٧٨

١- الإسلام - دعوة

أ- العنوان

٢١٣

رقم الإيداع/ ٢٥٣٠٣ /٢٠١٨

المحتويات

مقدمة 7
- لماذا ظَهَرَ الدُّعَاةُ الجُدُدُ؟ 13
- ما صبرك إلا بالله 23
- جُذورُ الظّاهِرَة 27
- الأسْتَاذ الإرْهَابي 35
- من تغيير العالم.. إلى إعلانات الدجاج! 39
- دُعاة وبُروتستانت 83
- كَنائِس الهَواء 93
- معز مسعود: داعية لَا يرغب أن يكون كذلك! 109
- مصطفى حسني.. البحث عن هوية 123
- الإعجازيـون 127
ختام 137

مقدمة

بَعْدَ مَا يَقرُبُ مِن ثلاثينَ عَامًا مِن ظهُورَ الدُّعَاة الّذِينَ سُمّوا بِالدُّعَاة الجُدُدِ، تَبقَى تَساؤُلاتٌ عَنْ مُسْتَقبَلِ هَذَا النَّمَطِ مِنْ الدَّعْوَةِ، وهَلْ يُمْكِنُ أنْ يَتَحَوَّلَ لِحَرَكةِ إصْلاحٍ دِينِيٍّ حَقِيقِي تتجاوَزُ حَدَاثَةَ الشَّكلِ لِتَطوُّرِ المَضْمُونِ، أمْ أنَّهُ يَظِلُّ مُجَرَّدَ تَغييرٍ شَكْلِيٍّ ذِي أهْدَافٍ تُجارِيَّةٍ واسْتِهلاكِيَّةٍ تَهدِفُ لتَحْويلِ الخِطابِ الدِّينِيِّ لمُنتَجٍ تُجارِيٍّ يَتِمُّ تَسْويقُهُ وجَنْيُ العائِداتِ مِنْ وَرَائِهِ؟

ثُمَّ هَلْ الخِطابُ المُتعلقُ بِالتشْجيعِ عَلَى العَمَلِ وجَنْيِ الثّرواتِ لَدَى الدُّعَاة الجُدُدِ،هُوَ خِطاب ذو وَجْهٍ إيجابِيٍّ يُمْكِنُ أنْ يَلعَبَ الدَّوْرَ الّذِي لَعِبتْهُ (البُروتِسْتانْتِيَّةُ) فِي تَحقيقِ التّراكُم الرَّأسْمالِيِّ والتَّشْجِيعِ عَلَى قِيمَتَي العَمَلِ والنَّجاحِ؟، أَمْ أنَّهُ فِي مُجتَمِعاتِنا العَرَبِيَّة لَا يَعْدُو أنْ يَكونَ دَعْوةً للفَسادِ ولِجَمْعِ المَالِ بِأَيّ طريقةٍ مِنْ تِلكَ الطرُقِ الّتِي تُشِيعُ فِي مُجتَمِعاتِنا الّتِي تَغيبُ فِيهَا الحَوْكَمَةُ والشّفَافِيَةُ، وسِيادَةُ القَانُونِ.

السُّؤَالُ الأَهَمُّ فِي هَذَا الإطارِ أيْضًا.. هَلْ تَخْدِمُ حَرَكَةُ التَّدَيُّنِ الفَرْدِيِّ فِكْرَةَ الدِّيمُقراطِيَّةِ، أمْ تَخْصِمُ مِنْها، وهَلْ هِيَ تَقودُ لِبناءِ مُجْتَمَع عَصْرِيٍّ

حَدِيثٍ أَمْ تُقَدِّمُ جُمْهورًا جَاهِزًا لِدُعَاةِ الدَّوْلَةِ الدِّينِيَّةِ، وتَنْشُرُ ثَقَافَةً سَـلَفِيَّةً اتِّكالِيَّـةً، غَيْبِيَّةً، تَلْعَبُ فِيهَا دُرُوس هَؤُلاءِ الدُّعَاة دَوْرَ المَدْرَسَـةِ الابْتِدائِيَّة للتَّطَرُّفِ، والمَرْحَلةِ التمهيدية لَهُ.

تَمْهيدٌ تَارِيخِيٌّ:

لَقَدْ ظَهَرَ هَذَا النَّمَط مِن الدُّعَاةِ الجُدُدِ فِي بِدَايَاتِ تِسْعِينِيَّاتِ القَرْنِ المَاضِي، وكَانَ ظهُورُهِـم لافِتًا حَيْثُ لَمْ يَكونُوا يَنْتَمُـونَ لَا لِدُعَاةِ الأَزْهَرِ بِتَعلِيمِهِم وزِيِّهِم التقلِيدِيِّ، ولَا لِدُعَاةِ السَّلَفِيِّين الّذِينَ يَتَمَيَّزُونَ أَيْضًا بِمَظهَرٍ مُعَيَّنٍ، وبِخِطاب مَلِيءٍ بِالزَّجْرِ والتَّخْوِيفِ، والتَّرْكِيزِ عَلَى فِكْرَةِ (عَمْلِ الإِنْسَـانِ) كَوَسِـيلَةٍ لنَجاتِهِ مِن النَّـارِ، كَانَ الدُّعَاةُ الجُدُدُ مِهَنِيين وأَشْـخاصًا عَادِيين اكتَسَبوا الثَقَافَةَ الدِّينِيَّةَ مِنْ خِلالِ دُرُوسِ البيُوت وحَلَقات المَسَاجِدِ، كانُوا يَرتَدونَ زِيًّا يُشْبِهُ زِيَّ الجُمْهور الّذِي يَسْتَمِعُ إِلَيْهِم، وكانُوا يَتَحَدَّثونَ بِلَهْجَتِهِ (العَامِيَّةِ البَسِـيطةِ) أَوْ اللغَةِ البَيْضاءِ، الّتِي تَجْمَعُ بَيْنَ الفُصْحَى، والعَامِيَّةِ، وكانَتْ هَذِهِ سِـمَةٌ أُخْرَى تُمَيِّزَهُم عَنْ دُعَاة الأَزْهَر مِنْ جِهَةٍ، وعَنْ الدُّعَاةِ السَّلَفِيِّين مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى.

ولَمْ يُدْرِكْ الكثيرونَ أَنَّ هَذَا الاخْتلافَ فِي الزِّيِّ، وفِي اللُّغَة، وفِي طبيعه التكوين كَانَ يقربهم مِن رجال دين يَنْتَمُونَ إِلَى دين اخر تَمَامًا هُمْ الوُعَّاظ البُروتِسْتانْتُ، الّذِينَ ظَهَرُوا كنَتِيجَةٍ وكَصَرْخَةِ احْتِجاج عَلى الكَنِيسَةِ الكاثولِيكِيَّةِ

أطلقَها مَارتِن لوثَر عَامَ 1517م، لَمْ يَكُنْ التشابُهُ فِي جَوْهَرِ الدِّين بِكُلِّ تَأكِيدٍ، لَكِنَّهُ كَانَ تَشَابُهًا فِي طريقةِ صِياغَةِ الخِطابِ، وطريقَةِ تَوْصِيلِهِ، وفِي فَهْمِ دَوْرِ الدَّاعِيَة أَوْ رَجُلِ الدِّينِ وطبيعةِ علاقتِهِ بِجُمهورِهِ

كَانَ مِن أَهَمِّ سِمَاتِ هَؤُلاءِ الدُّعَاةِ الّذِينَ ظهَروا فِي التِّسْعِينِيَّات أَيْضًا، أَنَّهُم يَسْتَهْدِفونَ الطبَقاتِ الجَدِيدَةَ الصَّاعِدَةَ فِي مِصْرَ، أَوْ الشَّرائِحَ العُلْيَا مِن الطبقةِ الوُسْطى، وقَدْ شَبَّهَ الدَّاعِيَةُ عُمَرُ عَبدالكافِي هَذِهِ الطبَقاتِ بـ(المَلأ) القرشي، أَوْ النُّخْبَةِ مِن قَبيلةِ قُرَيْش، وكأَنَّهُ كَانَ يَراهُم كُفَّارًا يَجِبُ عَلَيْهِ هِدايتُهُم، أَمَّا أَجْهِزَةُ الأَمْنِ فَقَدْ قَالَتْ إنَّ اسْتِهدَافَ هَؤُلاءِ الدُّعَاةِ لِهَذِهِ الطبَقاتِ كَانَ ضِمْنَ خُطَّةٍ سَمَّتْهَا (خُطَّة اخْتراقِ الصَّفْوَةِ) أطلَقتْهَا جَماعَةُ "الإخْوَانِ المُسْلِمِينَ"، وشَارَكَ فِيهَا دُعاةٌ مُختلفونَ مِنْ أَعْضَاءِ الجَمَاعَةِ، مِثلَ ياسِين رُشْدِي، وعُمر عَبدِالكافِي فِي البِدَايَةِ، ثُمَّ عَمرو خَالِد وآخرين فِيمَا بَعْدُ.

وإذَا انتقلنَا للظرْفِ المَوْضُوعِي سَنَجِدُ أَنَّ هَؤُلاءِ الدُّعَاةَ ظهَرُوا فِي وَقْتٍ كانَتْ فِيهِ المُوَاجهاتُ بَيْنَ الدَّوْلَةِ والتنظيماتِ الإرْهابِيَّةِ فِي مَرْحَلَتِها الأخِيرَةِ، قَدْ قَدَّمُوا أَنْفُسَهُم للدَّوْلَةِ باعْتِبارِهِم قادِرِين عَلى اجْتذابِ الشَّبَابِ بَعِيدًا عَنْ دَعاوَى التَّكْفِير العَنِيفَةِ، ورُبَّما يَقُولُ قَائِلٌ إنَّ الظاهِرَةَ الإسْلامِيَّةَ أعادَتْ إنْتاجَ نَفْسِها مَرَّةً أُخْرَى فِي صُورَةٍ مُعْتَدِلَةٍ بَعْدَ أَنْ فَشَلَ الخِيارُ المُسَلّحُ؛ خُصوصًا أَنَّ جَماعَةَ الإخْوَانِ المُسْلِمِينَ كانَتْ هِيَ الحَاضِنَةَ الّتِي خَرَجَ مِنْها الطرَفانِ، الجَهادِيُّونَ مِنْ ناحِيَةٍ، والدُّعَاةُ الجُدُدُ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى.

بِشَكْلٍ أوْ بِآخَرٍ كَانَ المَنَاخُ مُهَيَّئًا لِظهُورِ هَذَا النَّمَط مِنَ الدُّعَاةِ، وسَاعَدَ عَلى ذَلِكَ أنَّ أطرَافًا فِي الدَّوْلَةِ المِصْرِيَّةِ كانَتْ عَلَى اسْتِعدَادٍ لِتَشْجِيعِهِم اقتِناعًا بِفائِدتِهِم، وسَاعَدَ عَلَيْهِ أيْضًا أنَّ مَرَاكِزَ مُؤثِّرةً فِي الإعْلامِ السُّعُودِي رَأتْ تَبَنِّي هَذَا النَّمَط مِنَ الدُّعَاةِ المُخْتَلفِ بِكُلِّ تَأكِيدٍ عَنْ النَّمَط الّذِي رَعَتْهُ المُؤَسَّسَةُ الوَهَّابِيَّةُ التَّقْلِيدِيَّةُ وصَدَرَ إلَى مِصْرَ دُعاةٌ مِثلَ مُحمد حَسّـان، ومُحمد حسين يعقوب، ومُحمد إسماعيل المُقدم..وغَيْرِهِم.

وإذَا انْتقلنَا لِلجُمْهورِ نَفْسِـهِ سَنَجِدُ أنَّ الطبَقَةَ الوُسْطى المِصْرِيَّةَ ظَلَّتْ مُنْـذُ قِيَامِ ثَوْرَةِ 23يوليو، ثُمَّ هَزِيمَةِ 67 ووَفَاةِ جَمال عَبدالناصِر بِلا مَشْرُوع ثقَافِيٍّ ولَا سِيَاسِي حَقِيقِي، فَفِي مَرْحَلَةِ مَا قَبْلَ يُوليو كانَتْ هَذِهِ الطبَقَةُ تَصْنَعُ السِّيَاسَةَ وتُشَارِكُ فِي الحُكْم، وفِيمَا بَعْدَ يُوليو تَبَنَّتْ مَشْرُوعَ جَمالِ عَبدِالناصِر وحَلَمَتْ مَعَهُ، لَكِنَّ هَزِيمَةَ يُوليو لَمْ تترُكْ لِهَذِهِ الطبَقَةِ سِوَى الفَراغ..وكَانَ هَذَا أحَدَ أسْبابِ إقْبَالِ المِصْرِيِّينَ عُمُومًا عَلَى اسْتِهلاك الخِطابِ الدِّينيِّ بِشَكْلٍ عَـام، وإقْبَالِ الشَّرائِح العُلْيَا مِنَ الطبَقَةِ الوُسْـطى عَلى اسْـتِهلاك خِطابِ الدُّعَاةِ الجُدُد بِشَكْلٍ خَاصّ.

في هَـذَا الإطار لا يُمْكـنُ أبَدًا أنْ نَغفِلَ أنَّ ثَمَّةَ طبَقَةً جَدِيدَةً تَشَـكَّلَتْ فِي مِصْرَ مُنْذُ بِدَايَات التِّسْـعِينِيَّاتِ، مَعَ سِياسَاتِ التكيُّفِ الهَيكلِيِّ، وحَرْبِ الخَليج الأولَى، واسْتِدعاءِ نِظام مُبارَك لِعَدَدٍ مِنَ المُغتربِينَ والمُسْتثمرينَ، وأبناءِ الجِيل الثانِي مِنَ الأسَر القَديمَةِ؛ ليُشَكلوا نَواةَ مَا عُرِفَ فِيمَا بَعْدُ بِاسْم كِبَار

رِجَالِ الأَعْمَالِ، وقَدْ كَانَ لِهَؤلاءِ اعْتِراضَاتٌ واضِحَةٌ عَلى مُؤَسِّسَاتِ صِياغَةِ الوَعْـي فِي المُجْتَمَع المِصْريِّ؛ خُصوصًا الدِّرَامَـا، وكانُوا يَرَوْنَ أَنَّهَا مُعَادِيَةٌ للرِّأسِـمَالِيَّةِ ولِصُورَة رجَالِ الأَعْمَالِ، وفِي ظَنِّي أَنَّ ظهورَ دَاعِيَةٍ مِثْلَ عَمرو خَالد يَدْعو لِلثرْوَةِ، ولِلعَمَلِ، ولكُلِّ القِيَمِ الّتِي تَبَنَّاهَا المَذْهَبُ البُروتِسْتانْتي، كَانَ مُرْضِيًا، ومُتَمَاشِيًا مَعَ التَّغَيُّرَاتِ الجَدِيدَةِ فِي المُجْتَمَعِ؛ خُصوصًا أَنَّ عَدَدًا كَبِـيرًا مِـنْ رجَالِ الأَعْمَالِ أَقْدَمَ عَـلى تَبَنِّي هَذَا النَّوْعِ مِـنَ الدُّعَاةِ إِعْلامِيًّا، ومادِّيًّا، واجْتِمَاعِيًّا.

لَقَـدْ جَرَتْ فِي النَّهْرِ أُمورٌ كَثِيرَةٌ، ومَرَّتْ ظاهِرَةُ الدُّعَاةِ الجُدُدِ بِتَغَيُّرَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وقَدْ سَـمَحَ لِي الحَظّ أَنْ أكونَ أَوَّلَ مَنْ وَضَعَ الظاهِرَةَ عَلى بِسَـاطِ البَحْثِ مِنْ خِلالِ كِتَابِ ظاهِرَةِ الدُّعَاةِ الجُدُدِ (2005م)، الّذِي حَازَ عَلَى جَائِزَةِ الدَّوْلَةِ التَّشْجِيعِيَّةِ فِي العُلومِ الاجْتِمَاعِيَّةِ (2008م)، ويُسْعِدُنِي اليَوْمَ أَنْ أَقَدِّمَ هَذَا العَمَلَ الجَدِيدَ الّذِي يَسْتَجْلِي التَّغَيُّرَاتِ المُتَعَدِّدَةَ الّتِي مَرَّتْ بِها الظاهِرَةُ، وتَأْثِيرَاتِ ثَوْرَتَي يناير 2011م، ويونيو 2013م عَلَيْهَا، ويُحَاوِلُ الإِجَابَةَ عَلَى أَسْئِلَةٍ عَدِيدَةٍ، أَهَمُّهَا السُّـؤَالُ المُتَعَلِّقُ بِمُسْتَقْبِلِ هَذِهِ الظاهِرَةِ.. وأَرْجُو أَنْ يَكونَ لِي عَلَى هَذَا أَجْرَانُ لَا أَجْرٌ واحِدٌ.. وعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ.

وائل لطفي

الشيخ زايد

18أغسطس 2018

لماذا ظَهَرَ الدُّعَاةُ الجُدُدُ؟

إنَّ كلَّ ظاهِـرَة لها جُـذور.. هذه الجُذُور تمتد تحـت الأرض لطبقات وطبقات مختلفة ومتتالية، وبالنسبة للظاهرة الّتِي نحن إزاءها اليومَ، فنحن إزاء جُذور ممتدة فِي التاريخ القديم..

لكنْ مِن المناسب أن نبدأ بثورة الاتصالات الحديثة، وبالتغيرات الّتِي أحدثتها وسائل الإعْلام المختلفة. لقد أدتْ هَذِهِ التغيراتُ إلَى أشياء كَثِيرَة كَانَ مِن بينها أن يتحول الوُعّاظ ورجال الدِّين إلَى نُجوم جماهيريين يملكون التأثير فِي الملايين، بل المليارات مِن البَشَر..لقد كَانَ ذَلِكَ أمرًا جديدًا بِكُلِّ تَأكِيد، وقَبْلَ هَذِهِ الثورة كَانَ أيُّ رَجُل دين لا يملك سوى التاثير فِي المُصَلين والمُريدين الّذِينَ يراهم ويرونَه وجهًا لوجْهٍ؛ سواء فِي الكنيسة، أو فِي المسجد

أوْ فِي أي دار عبادة أخرى.. وهكذا لا يمكن أن نفهم ظاهِرَةً مِثل (الدُّعَاة الجُدُد) دونَ أن نفهم ذَلِكَ التاثير السّحري للتليفزيون عَلى عشرات المليارات مِن البَشر مُنْذُ ظهوره حتى الآن.

لقد ظَهَرَ التليفزيون عام 1884م عندما اخترع الألماني (بول تبكو) قرصًا ميكانيكيّا بفتحات صغيرة يَمُرّ مِن خلالها ضوءٌ مُسَلط عَلَيْهَا، ومن خلال العلاقـة بَيْنَ الضوءِ والفتحات ظهرتْ الصـورة التليفزيونية الّتِي نعرفها جميعًا.

ورُغْمَ أن التليفزيون ظَهَرَ كاكتشاف عِلمي مُنْذُ 1884م؛ فإنَّهُ لَمْ يتحول إلَى أداة تأثـير جماهيري إلّا فِي بِدَايَـات النّصف الثاني مِن القَرْن العشرين، وقد كَانَ إلَى جانب عشرات الأشياء الأخرى أحَدُ الإهداءات الأمْرِيكِيَّة للعالم.

لقد كانَتْ حِقبة الخمسينيات هِيَ العَصْرَ الذهبيّ للتليفزيون فِي أمريكا؛ حَيْثُ تنافستْ ثلاثُ شبكات أمريكية كبرَى هِيَ nbc وcbs وabc عَلى الجمهور الأمريكي.. وفي أمريكا كَانَ أول استخدام سياسي للتليفزيون حين أصبحتْ شـبكاتُ التليفزيون طرفًا فِي المعركة الانتخابية عام 1952م، ثُمَّ حينَ تطورَ الأمرُ لتصبح سببًا فِي انتصار جون كيندي عَلى منافسه ريتشارد نيكسون فِي الانتخابات التالية.

لكن أهَمّ مَـا فعلته محطاتُ التليفزيون الأمريكي فِي مجال السِّياسـةِ لَمْ يكـن تغطية الانتخابات الأمريكية.. بل كَانَ اختراع أشـهر رَجُل دين فِي تاريخ العالم، رَجُل وصلَ عددُ متابعيه إلَى 2.2 بليون شخص، وفاز بجَائِزة الرَّجُل الأكثر تأثيرًا لخمسين عامًا مختلفة ومتتالية خلال حياته الّتِي امتدتْ لمئة عام مِن (1918 - 2018م).

إننا لا يمكنُ أن نفهمَ قصةَ صُعود الدُّعَاة الجُدُد فِي مِصر دُون أن نتوقفَ أمام رحلة (بيلي جراهام)الذي كَانَ مِن دُون شَك نموذجًا لأشْهَر الدُّعَاة الجُدُد فِي مِصر الّذِينَ قلدوه فِي أشياء كَثِيرَة ومُهمة، لكنْ أهَمّ نقاط التشابه كَانَ فِي دَوْرِ الإعْلام فِي صناعة الواعِظ أوْ الداعيةِ؛ سـواء فِي أمريكا أوْ فِي مِصر..

لقد كان بيلي جراهام مجرد واعظ محلي فِي كنيسة إحدى المقاطعات البعيدة حَتّى مُنتصف الأربعينيات حينَ قادَهُ الحَظ لأن يُلقي بعضَ المحاضرات فِي مدينة لوس أنجيلوس فِي ولاية كاليفورنيا؛ حَيْثُ شاء الحظ أن يَسْتمع له (وليام هيرست)، أحد بارونات الإعْلام فِي أمريكا.. لقد وجَدَ هيرست فِي بيلي جراهام مَا يبحثُ عنه.. إنه رَجُل مؤثر، والأهَمُّ أنَّهُ معادٍ للشيوعيين.. إن هيرست لَمْ يخفِ هَذَا السببَ، ولم يتذرّع بأسباب أخرى.. لقد قالها صريحة (وجدتُ تطابقًا فِي آرائنا حَوْلَ الشيوعية).. الأهَمّ أنّ هيرست لَمْ ينتظرْ حَتّى يلتقي بالواعظ الّـذِي أثار إعجابه، ولم ينتظرْ أيْضًـا حَتّى يلتقي بمديري

مجموعته الإعلاميه وينقل لهم رغبته فِي تلميع بيلي جراهام.. لقد أرسل لهم تليغرافًا يَقُول فِيهِ (انفخوا بيلي جراهام)! وقد حدث ذَلِكَ بالفعل..سَلطتْ وسائلُ الإعْلام الأضواءَ عَلى بيلي جراهام ولم تُطفِئْها حَتّى اليوم..

إننا ونحن نفهم ظاهِرَة الدُّعَاة الجُدُد لا يمكنُ أن نغفلَ ذَلِكَ التشـابُه فِي دَوْر وسائل الإعْلام فِي صناعة ظاهِرَة الدُّعَاة الجُدُد.. وبالنسبة لأشْهَر هَؤُلاء الدُّعَاة وهُوَ عمرو خالد فَقَدْ لعبَ رَجُل الأعْمَال السُّعُودِي صالح كامل دورًا مشابهًا تَمامًا للذي لعبَهُ الملياردير الأمريكي وليام هيرست مَع بيلي جراهام، فحتى عام 2002م تقريبًا كَانَ عمرو خالد داعية مَحليًّا، يُلقي الدُرُوسَ الدِّينِيَّة فِي بيوت المشـاهير والفنانات التائبات والدوائر المعروفة وقتها بدوائر الالتزام الدِّيني، وإلى جانب ذَلِك كَانَ يُلقي درسًـا أسبوعيًّا فِي مسجد الحُصري التابع لجمعية دينية تديرها ياسمين الحُصري، إحدى الفنانـات التائبات.. ورُغْمَ النجاح الّذِي حققه درسُـهُ الأسـبوعي؛ فإنَّهُ كَانَ محدودَ الأثر، رُغْمَ محاولاته الانتشـار مِن خلال الكاسـيت المسموع والمصور الّذِي كانَتْ الشركة المنتجة له توزعها أمام المسجد بحثًا عَنْ فرصة أكبر للرّواج..لكنْ عمرو خالد انتقل لكي يصبح نجمًا جماهيريّا حين قررَ المستثمر السُّعُودِي صالح كامل- مالكُ قنواتِ "اقرأ" الدِّينِيَّة- أن يتبناه، تَمامًا مثلما فعلَ وليام هيرست مَعَ بيلي جراهام؛ حَيْثُ أصدرَ الشيخ صالح كامل قرارَهُ بأنْ يصبح الدَّاعِيَة الجديد عمرو خالد مستشارًا دينيّا له، وبأن

تنتج له قناة "اقرأ" برنامجًا دينيًا بمُسميات مختلفة.. ولا شَكّ أنّ قرارَ صالح كامل كَانَ له أبعاد سياسية مختلفة، رُبَّما كَانَ بعضُها متعلقًا بظهور تيار مناوئ للمؤسسة الدّينيّة التّقليديّة فِي السُّعودية، هَذَا التيارُ عبّرَ عَنْ نفسِه مِن خلال رجال أعمال مِثل صالح كامل والوليد بن طلال فيما بَعْدُ، لقد تَبَنِّي كلاهُما أطيافًا مِن الدُّعَاة الجُدُد عبْرَ السنوات التالية، ولا شَكَّ أنّ خِطابَ عمرو خالد الداعي إلَى تكوين الثروة كأحد أشكال التَّدَيُّن الصحيح كَانَ يَلقَى هَوًى لَدَى رَجُل أعمال مِثل صالح كامل يجمع بَيْنَ الأفكار الرأسمالية وبين الانتماءِ للمؤسسة الحاكمة فِي مملكةٍ تقومُ عَلى أساس ديني.

على أنّ أهَمَّ مَا فَعلَه تَبَنِّي صالح كامل لعمرو خالد إعْلامِيًّا لَمْ يكن فقط تحويلُه لنجم جماهيري وبَسْط تأثيره عَلى عشرات الملايين، الّذِي انعكس فِي شكل موجات مِن التَّدَيُّن الشَكْلِيّ وارتداءِ الحِجاب بَيْنَ الفتيات الصغيرات.

الأهَمّ فِي هَذَا التبنّي أنَّهُ جَعل رَجُل الأعْمَال طرفًا مباشرًا بَيْنَ عمرو خالد وسُلطات الدَّوْلَة المصرية.. فحين رَأتْ السُّلطات المِصْرِيَّة أن تأثير عمرو خالد باتَ ضارًّا، وطلبتْ منه الامتناع عَنْ الخِطابة فِي مسجد الحصري؛ ألقت له قناة "اقرأ" بالحَلّ السّحري.. برنامج دِينِيّ يقدمُه مِن استوديوهاتها فِي بيروت. لَمْ يكن عَلَيه سوى أن يركبَ الطائرة لمُدة ساعة، ويظهر ليخاطبَ الملايين بدلًا مِن المئات الّذِينَ مُنِعَ مِن مخاطبتهم فِي أحَد مساجد القاهرة.

لقد كَانَ هَذَا الحديث عَنْ سطوة وسائل الإعلام، وعن تأثير النموذج

الأمريكـي مُهِمًّا لفَهْم هَذِهِ الظاهِرَة الّتِي أصبحـتْ أكثر مِن مُهمة لدَيْنا.. لقد كانَتْ ثورة الفضائيات الّتِي عرفتها القاهرة مَع بِدَايات الألفية الجَدِيدَة أحَد الأسـباب الحاسمة فِي انتشار ظاهِرَة الدُّعَاة الجُدُد.. لكن هَذَا لَمْ يكن السبب الوحيد.

التكيف الهيكلي..

لقد كَانَ عَقْدُ التّسعينيّات والسّياسات الاقتصادية الّتِي اتبعتْها الحكوماتُ المِصْرِيَّـة عاملًا مُهمًّا جدًّا فِي ظهور هَذَا النَّمَط مِن الدُّعَاة الّذِينَ عُرِفُوا فِيما بَعْدُ باسْـم الدُّعَاة الجُدُد؛ حَيْثُ كَانَ مِن نتائـج حالة التفاهُم الجزئي بَيْنَ نظام مبارك وجماعة الإخْوَان المُسْلِمِين عودَة كوادر الإخْوَان الّذِينَ هاجَروا عقبَ صِدَام الجَمَاعَة مَعَ الدّولَة فِي الستينيات، كَانَ الّذِينَ عادوا يجمعون بَيْنَ الرغبة فِي الاستمتاع بطيّبات الحياة، وبين الحفاظ عَلى نوع مِن الالتزام الدِّيني الّذِي كَانَ أحَدَ عوامِل الوضْع الاجتماعي المميز الّذِي حصلوا عليه.

ولم يقتـصرْ الأمْرُ عَـلى العائدين مِن الخليج الّذِينَ سَـكنوا فِي الأحياء القديمة الراقية وحوَّلوا مساجدها ونواديها لمراكز للدعوة الجديدة.

لكنْ الأمْرُ امتدَّ ليشـملَ قطاعات كبيرة مِن أعْضَـاء جَماعَة الإخْوَان، الّذِينَ انتعشـوا اقتصاديّا فِي سنوات التّسعينيّات وما بَعْدَها؛ حَيْثُ لَمْ تكن

ثَمَّةَ مواجهات كبيرة مَعَ الدولة، وكانَتْ حُرية النشاط الاقتصادي ومراكمة الثروات متاحة تمامًا للإخوان كما كانَتْ متاحة للجميع...

لقد بدا أن هَذَا التغير فِي الوضع الاقتصادي والاجتماعي للجماعة فِي حاجة إلَى خِطاب تربوي ودعوي مختلف عَنْ ذَلِك الخِطاب الّذِي كانَتْ تنتجه أقسام التربية فِي الجَماعة.. أو بمعنَى أصح هُوَ يحتاج للتطوير، ذَلِك أن الوضع أصبح مختلفًا عَن سنوات المِحنة والمواجهة الّتِي مَرَّتْ بها الجَماعة فِي الستينيّات، ثُمَّ سنوات الريبة والترقب والعودة والشد والجذب فِي السبعينيات.. كانَتْ التغيراتُ فِي الأوضاع الاقتصادية للإخوان أحَدَ أبرز أسْباب ظهور الدُّعاة الجُدُد بكل تَأكِيد.

ولم يكن هَذَا كل شيء.. فإلى جانب التغيرات داخل جَماعة الإخْوَان نَفْسها، كانَتْ هناك تغيرات أخْرَى عبّرتْ عَنْ نَفْسها فِي ظهور الطبَقَة الجَديدة مِن رجال الأعمال، وهي ضمت شرائح مختلفة مِن المهنيين الّذِينَ تعلّموا تعليمًا جيدًا، والجيل الثاني والثالث مِن أبناء الأسَر الرأسمالية القديمة.. وقَدْ اختلف هَؤُلاء عَن الجيل الأول مِن رجال الأعْمَال الّذِينَ ظهروا فِي أعقاب الانفتاح الاقتصادي..

كَانَ مِن الواضح للغاية أنّ رجال الأعْمَال الجُدُد، يبحثون عَنْ ظهير فِكريّ، وكانَتْ خلاصة رسالتهم أنهم أصحابُ وِجْهَة نَظرٍ فِي كيفية نهضة مِصر، وأنهم أصحابُ أفكار وليسوا مُجرّد جامِعي ثروات ونَهّابِي فُرَص.

عـبَّرَ هَؤُلاءُ عَنْ أنْفُسِـهم مِن خلال جمعيات ومؤسسـات مختلفة، كما انخرط بعضُهم فِي النشـاط السـياسي، وكَانَ إجمالي الخِطاب الّذِي طرحه هَـؤُلاء وقتها أنهم لا يمكن أن يسـاهموا فِي التنمية بينما وسـائل الإعْلام تشوّه صورتهم، والمسلسـلات الدرامية تُظهرهم فِي صُورة رموز للشر.. ولا شَـكَّ أنّ بعضَ مَا اشـتكوا منه كَانَ صحيحًا..فحتى بِدايات الألفية الجَديدة كَانَ الإنتاج الدارمي خاضعًا لسـيطرة الدَّولة المصرية.. وكانَتْ الأغلبية العظمَى مِن كبار كُتّاب الدراما مِن أبناء جيل السـتينيات.. كَانَ كُتّاب مِثل أسـامة أنور عكاشة ومحفوظ عبدالرحمن يتولون صياغة وعْي المِصرِيِّين تجاهَ العالَمِ مِن خلال المُسلسلات ذائعة الصيت.

لم يكن ينافسـهم فِي القُدرة عَلى مُخاطبة جُموع المِصرِيِّين سـوى الشـيخ الشـعراوي الّذي تُوُفّي منتصف العام1998م. وكَانَ ذَلِكَ تقريبًا هُوَ العام نفسه الّذِي بدأ فِيهِ عمرو خالد نشاطه كداعية (بدأ فِي العام1997م).

بكل المقاييس بدأ خِطاب عمـرو خالد تجاهَ الثروة مناقضًا تَمامًا لتلك المفاهيـم الّتِي يصيغها كُتَّاب الدراما المِصرِية مِن أبناء ثورة يوليو، ولتلك الّتِي يصيغها المثقفون اليساريون عمومًا.

كَانَ عمرو خالد يربط بَيْنَ الغنى والقدرة عَلى فِعل الخير، وبين الثروة وأن يكون الشخص مؤمنًا صالحًا.. بدأ خطابه متأثرًا بتحليل ماكس فيبر للأخلاق البُروتِسْـتانتية (مزيد مِن العَمَل يعني تديُّن أفضل)، وبدأ مُلبيًا

تَمامًا لرغبات الوافدين الجُدُد عَلى الساحة فِي نهاية التّسعينيّاتِ.

بقليل مِن التعميم والتبسيط يُمْكِن القول إن المزاج العام فِي الإعْلام وفِي الحياه العامه فِي مصر ظل ناصريا حَتّى بدايه التّسعينيّاتِ، بَعدها ورويدًا رويدًا بدأ التغيير، وتصاعَد المُنحنَى إلَى ذُروتِه فِي بداية الألفية الجديدة، وهي الفترةُ نفسُها الّتِي واكبتْ ظهورَ الدُّعَاة الجُدُد.

ما صبرك إلا بالله

إلى جانب صُعود قُوَى اجتماعية جَديدة؛ سواء مِن المُنتمين لجماعة الإخْوَان، أو مِن رجال الأعمال مُعتنقي الأفكار الرأسمالية الواضحة الّذِينَ يريدون إزاحة رُكام الناصرية ليبدأوا عملهم كما ينبغي.. كَانَ هناك توسُّع فِي افتتاح فروع للبنوك الأجنبية والشركات العابرة للقارات، وتوسعتْ هَذه الشركات فِي تعيين كثير مِن الشّبان الحاصلين عَلى تعليم غربي ويريدون فلسفة مَا تُبَرّرُ حياتهم، وتقول لهم لماذا يقضون ساعات طويلة مِن أعمارهم وراء المكاتب وأجهزة الكمبيوتر المختلفة، وظَهَرَ عمرو خالد ليقول لهم إن المسألة ليستْ مراكمة أرباح فقط، لكنهم بعملهم هَذا يساهمون فِي إعلاء شأن الدِّين، ولم يكن مَا قدّمه سوى تعريب للأفكار الرئيسة للبروتستانتية، ورُغْمَ أن هَذِه

الأفكار فِي مُجملها هي أفكار مفيدة؛ فإنَّه يُمْكِنُ إثارة التساؤل حوْل ماذا كانَتْ دعوة عمرو خالد هِيَ دعوة للعمل الجاد.. أم دعوة لجَمْع الثروة بِأَيّ طريقة مِن الطرُق المعروفة فِي مُجتَمِعاتِنا العَربِيّة.

وإذا نظرنا إلَى الضفة الأخري مِن النّهر فسنجد أن القضية كَانَ لها بُعْدٌ آخَرُ.. فتطبيق سياسات التكيُّف الهيكلي وكلّ الترتيبات الأخرى كَانَ يستدعي توقُّف الدَّولَة المِصرِيَّة عَن توظيف الشباب.. بالإضافة إلَى عِدة آثار اجتماعية أخْرَى، ولا شَكَّ أن خِطاب التنمية البشرية الّذِي قدّمه عمرو خالد ممزوجًا بالوعظ الدِّينِي كَانَ مِن شأنه أن يساعد الشَّبَاب عَلى تحميل الدَّولَة المسئولية ويدفعهم لخوض عالم المبادرات الفردية، وقَدْ انتشرتْ مناهج التنمية البشرية بَعْدَ ذَلِك فِي المُجْتَمَع المصري حَتّى تحولتْ إلَى ظاهِرَة جماهيرية شبابية.

مبادرةُ وقْفِ العُنفِ

إننا لَا يُمْكِن أن ننظر إلَى ظاهِرة الدُّعاة الجُدُد دون أن نتذكر مبادرة وقْفِ العنفِ الّتِي أعلنتها الجَماعة الإسلاميّة فِي منتصف 1997م؛ حَيْثُ وقَفَ أَحَدُ المتهمين مِن قيادات الصف الثاني مِن الجَماعة، أثناء نَظر قضيةٍ كَانَ مُتهمًا فِيهَا بالعنف ليُعلن أن جماعته قررت الإقلاع عَنْ العنف.. كانَتْ

المبـادرة نتيجة لمراحل كَثيرة مَرَّتْ بها الجَماعة الإسـلاميَّة مُنْذُ ظهورها فِي بِدَايَات السـبعينيات؛ حَيْثُ مارستْ العنف بأشكال مُتَعدّدة كَانَ ذروتها اغتيال رئيس الجمهورية، ثُـمَّ الدخول فِي مَرْحَلة أقرب لمرحلة الهُدنة مَع الدّولة، التي انتهت عام 1989م عقب اغتيال المتحدث باسْم الجماعة علاء محي الدِّين لتمارس الجماعة أنواعًا مختلفة مِن العنف ضد الأقباط والسائحين والمسئولين الحكوميين وغيرهم.

لقد كان إعلان الجماعة إيذانًا ببدء عصر جديد من التغيير الناعم، ومن الكف عن محاولة الاسـتيلاء على السُّلطة من قمتها العليا، والانخراط في مرحلة جديدة يبدأ فيها تغيير المجتمع من الأسفل وليس من الأعلى.

جُذورُ الظّاهِرَة

رُغم تكرار الإشارة إلَى عام 1997م كعام التقت فِيه عدة عوامل يُمْكِن الإشارة إليها لمحاولة فَهْم هَذه الظاهِرة؛ فإنَّهُ لا يمكن تجاهُل أن ثَمَّةَ جذور لِهَـذهِ الظاهِرة، ولكي نفهمها فيجب أن نبحث عَنْ تعريف لهؤلاء الدُّعَاة الجُدُد..ولعل أفضل تعريف لهؤلاء الدُّعَاة الجُدُد أنهم ليسوا أولئك الدُّعَاة القدماء، وبقول آخر يُمْكِن القول إنهم دُعاة لا يَنْتَمون للمؤسستين الدينيتين اللتين كانتا موجودتين فِي مصر، وهما مؤسسـة الأزهر، والمُؤسّسَة الدّينِيّة السَلَفِيّة الوَهّابِيّة

دعاه الأزْهَر كانوا وقتها موجودين مؤثرين أكثر فِي وسـائل الإعلام؛ حَيْثُ كَانَ التليفزيون المصري لايزال يحتفظ بسُطوته عَلى عقول مشاهديه،

والأمر نفسه لإذاعة القرآن الكريم.. ومن خلالها كَانَ يطل عددٌ مِن الدُّعَاة والوعّـاظ الأزهريين.. لكنهم كانوا غالبًا كبارًا فِي السِّـن، يَتحدّثون بلغة تقليدية رتيبة، ويمطون الحروف بطريقة إلقاء معينة، كَانَ حديثهم ينتمي للماضي أكثر مما ينتمي للحاضر، وينتمي لمُتون الكُتُب بأكثر مما ينتمي لتفاصيل الحياة.. لكنهم بِكُلِّ تَأكِيد كانوا الأفضل مِن حَيْثُ الرصانة العلمية.. وكَانَ أخطر نقاط الضعف لديهم أن المُؤَسّسَة الدّينيّة الرسمية فقدت ثقة الناس بسبب قربها الزائد مِن السُّلطة.

على الجانب الآخر، كانَتْ السَلَفِيّة قَدْ غزتْ مِصر مُنْذ بِدَايَات السبعينيات.. كَانَ هناك الدّعْوة السَلَفِيّة فِي الاسكندرية، وكَانَ هناك الدُّعَاة الشعبيون الّذِين انتشروا مِن خلال الكاسيت وطبقتْ شهرتهم الآفاق.. وكَانَ هناك أنصار السُّـنة، والجمعية الشرعية.. كَانَ السلفيون ينتشرون فِي الأحياء الشعبية، ومساجد القرى بِخِطاب مَلِيء بالزّجر والتخويف.. وكَانَ الدّاعِيَة الأشْهَر وقتها محمد حسـين يعقوب ينهال عَلى المواطن العادي بالسّـؤال الزاجر، والمتهكم.. (مبتصليش ليه؟).

الدُّعَاة الجُدُد لم يَكونُوا هَؤُلاء ولا أولئك، لم يَكونُوا مِن أبناء المُؤَسَّسَة الدّينيّـة الرسـمية، ولا مِن ابناء المُؤَسّسَـة الوهابية..كانوا فِي الأغلب مِن أعْضَاء جَماعَة الإخْوَان المُسْلِمِين والمتأثرين بأفكارها (مع وجود استثناءات)،

وكانوا أيْضًا مِن الّذِين تلقوا تعليمًا مدنيًّا غير ديني، وكَانَ لهم مِهَن أخْرَى بخلاف الوعظ.

كانوا مِن حَيْث المظهر أقرب إلَى شكل الرعاة البُروتِسْتانْت، الّذِين ارتدوا زيّ الجمهور وتحدثوا بِلُغَتِه بدلًا مِن الزيّ الكهنوتي الّذِي كَانَ يرتديه القساوسة الكاثوليك.

كَانَ الأزْهَر والمُؤَسّسَة السَلَفِيّة فِي حالتنا هَذِه يلعبان نفس دَوْر الكنيستين الكاثوليكِيّة والأرثوذكسية مِن حَيْث المسافة الّتِي تفصل رَجُل الدِّين عَنْ الجمهور، والزيّ الخاص الّذِي يرتديه ويميزه عَنْ بقية الرعية، واللُّغَة الخاصة الّتِي يستخدمها فِي الصلاة وتختلف عَنْ اللُّغَة الّتِي يستخدمها باقي الشعب، وفِي حالتنا هَذِه لَمْ يكن علماء الأزْهَر أوْ دُعاة السَلَفِيّة يستخدمون لغة غير العَرَبِيّة، لكنهم كانوا يستخدمون لغة قديمة لا يتحدثها الشعب فِي حياته اليومية ورُبَّما لا يدرك المقصود مِنْها وقَدْ تدارك دُعاة المؤسّستين ذَلِك فيما بَعد.

البِدَايَات الأولَى

ورُغْمَ أنّ ظهور عمرو خالد الدَّاعِيَة الأشْهَر في هَذَا المجال كَانَ فِي عام 1997م؛ فإنّ الظاهِرَة كَانَ لها جُذور بدأت مِن الثمانينيات وأكدت نَفْسها مَعَ بدايه التّسعينِيّات.. ويمكننا بِشَكْلٍ مَا أن نتحدث عَنْ جيل مِن الدُّعَاة الجُدُد سَبق عمرو خالد فِي الظهور، وإن لَمْ يتمتع بنفس قدرته عَلى الانتشار والتأثير فِي الأجيال الأصغر سِنّا.

ويمكن القول إن دُعاة مثل ياسين رشدي وعمر عبد الكافي كانا أقل تاثرًا بنمط الوعظ البروتستانتي مِن عمرو خالد، وإنهما كانا هجينًا مِن الدَّاعِيَة أوْ العالِم التقليدي وبين الدُّعَاة الجُدُد.

لقد كانَتْ معايير الدُّعَاة الجُدُد تنطبق عليهما بِكُلِّ تَأكِيد والشيخ ياسين رشدي الّذِي كَانَ داعية شهيرًا فِي تِسعينِيّات القَرْن المَاضِي مثلا لَمْ يكن أزهريّا، كَانَ رَجُل أعمال سكندري يعمل فِي مجال استيراد القمح، وهُوَ قبلها كَانَ قبطانًا بحريّا، أمّا جُذوره فهي عسكرية؛ حَيْثُ كَانَ ضابطا فِي الجيش المصري، خَرَجَ بَعْدَ الاشتباه فِي علاقته بجماعه الإخْوَان المُسْلِمِين فِي منتصف ستينيات القَرْن المَاضِي.. هاهو إذن يشبه الدُّعَاة الجُدُد فِي كل

شيء.. لَا ينتمي للمؤسسة الأزهرية، وتربطه علاقة مَا بالإخْوَان المُسلِمين، ولـه عمل آخر يتعلـق بالبيزنس أوْ يدور فِي مداراته، وهُوَ يسـتقي ثقافته الدّينيّة بطريقة الشيخ والمُريد، وبَعِيدًا عَنْ المُؤَسّسَة الرسمية..

ياسين رشدي الّذِي كَانَ نجمًا إعلامِيّا حقيقا قدمته الإعلامية كاريمان حمزة فِي برنامجها (الهدى والنور)عام 1991م، وقَدْ لعب هَذَا البرنامج دورًا كَبِيرًا فِي تقديم الدُّعَاة الجُدُد، لعله كَانَ مشابهًا لدور الإعلامي أحمد فرّاج فِي برنامجه (نور عَلى نور)، الّذِي قدّمَ مِن خلاله الشـيخ الشعراوي للمرّة الأولَى قَبل ذَلِك بسنوات.

ياسين رشـدي كَانَ عَلى علاقة وثيقة بمجموعة الفنانات المعتزلات، الـلاتي كن دائـمًا ظهيرًا للدُعَاة الجُـدُد، وقَدْ كـذّبَ فِي حواراته الصحفية الشـائعات الّتِي قَالَتْ أنّه تزوّج مِن النجمة المعتزلة مديحة كامل وقال إن علاقته بالمعتزلات هِي علاقة أخوّة.

ياسـين رشـدي كَانَ أول نموذج للدُعَاة الجُدُد بملامحهم الواضحة، كَانَ نجمًا يتمتع بالشـهرة والثروة ويدير أعمالًا تجارية إلَى جانب ممارسـته للدعوة.. وقَدْ مكنته كل هَذِه العوامل مِن أن يؤسس مسجدًا مكيف الهواء هُو مسـجد المواسـاة.. وقد كَانَ ذَلِك أمرًا مُلفتًا ومميـزًا للغاية فِي بدايات التّسـعينيّات وقبل أن تنتشر أجهزة التكييف فِي بيوت المِصرِيّين بالشـكل الّذِي بِتنا نعرفه جميعًا.

كَانَ مِن اللافت أيْضًا أن يلحق ياسين رشدي فِي مسجده وحدة لتسجيلات الفيديو والكاسيت تسـجل دروسه وتجري لها عمليات المونتاج اللازمة وتطرحها للبيع عَلى الجمهور..

كَانَ ذَلِك بِكُلّ تَأكِيد كشفًا عَنْ تأثر مَا بنمط المُبشرين والوعّاظ الإنجيليين فِي الغرب وفِي الولايات المتحدة الأمرِيكيّة تحديدًا؛ حَيْثُ يتحول الواعظ مِن واعظ عادي إلَى نجم، ومن فَرْد إلَى مؤسسة، ومن رَجُل دين إلَى نجم مُجْتَمَع، مَع تضخم كبير فِي وضعه المادي أوْ وضع مؤسسـته، وتدفق كبير للتبرعـات مِن الجماهير الّتِي تريد التعبير عَنْ حُبها للدين مِن خلال دعم الأنشطة الّتِي يدعمها الدَّاعِيَة أوْ الواعظ.

لقد شـهدتْ هَذِهِ الظاهِرَة تناميًا فِي مصر مَع ظهور أجيال جَديدة مِن الدعاة، وانتشار وسائل الإعلام التّقلِيدِيّة وغير التقليدية، وتراكم الثروات فِي المُجتَمَع، وحالة الفراغ الروحي والثقافي لَدَى الملايين الّذِين لا يجدون خطابًا ثقافيّا يستهلكونه، ولا يجدون مِن يساعدهم فِي الإجابة عَنْ أسئلة وجودهم سوى ذَلِك النوع مِن الدّعاة.

وإذَا انتقلنا لداعية آخر هُوَ عمر عبد الكافي سَنَجِدُ أنّه أكثر كلاسيكية، وأكثر شُهرةً وتأثيرًا، كما أنّه أوضح بالارتباط فِي جماعة "الإخْوَان المُسْلِمِين" فِي تجليها الأقرب للسَلَفيّة المؤمنة بفكر الحاكمية.

وهو مِن حَيْث الشكل مستوفى لشروط الدُّعَاة الجُدُد، فهو باحث فِي عِلم النباتات، وصاحب شركات خاصّة فِي مجال استصلاح الأراضي، وهو عُضو مُؤَكد فِي جماعة الإخوان.. دفعته الظروف العامّة التي سبق ذِكرها إِلَى أنْ يلمعَ كداعية فِي منتصف الثمانينيات فِي مسجد نادي الصيد، وفِي مسجد أسد بن الفرات، وفِي الأماكن التي صارت تُعرَف فيما بَعْد أنها مراكز الدّعوة الجَديدة فِي مِصر.

وهو كَان أكثر تطرُفًا وإعجابًا بفِكْرَة الحاكميّة الإلهيّة، وكان صاحب موقف مُتطرف مِن الأقباط حتّى أنّه نَصحَ المُسْلِمين بأن يتهربوا مِن تهنئة الأقباط فِي أعيادهم.

وقد لفتت آراؤه المُتطرفة أنظار الصحافة ورُبَّما الجهات الأمنية فتم الهجوم عَلَيْه عامَ 1994م بمناسبة موقفه مِن الأقباط، وتم منعه مِن الخطابه.. وقَالَتْ تسريبات صحفية أنّه تورط فِي فضيحة أخلاقية كبيرة مِن النَّمَط الراسبوتيني.. ولم يكن لجمهور متابعيه أي رد فعل عَلى منعه؛ حَيْث أثرت الأخبار المتداولة عَلى مصداقيته، وكان مِن آثار ذَلِك انسحابه تدريجيًا وظهور عمرو خالد ليحلَّ مَحله فِي الأماكن نفسها التي كَان يخطب فِيها، وليخاطب الجمهور نفسه تقريبًا.. وقد عاد الرجُل بَعْدَ ذَلِك لتقديم برامج وحَلَقات فِي تليفزيونات الخليج العربي، وانتقل للإقامة هناك واستمر فِي ممارسة نشاطه دون لمعان أو تأثير جماهيري كبير.

لكـن الملفت أن الرجُل كَان عَلى وعي بالدور الذي يقوم به، وقَدْ قال لمجلة (المجلة) السـعودية أنّه مُنِع مِن الخطابـة عقابًا له عَلى اختراق طبقة الصفوة المِصرِيّة وجذبها للمشروع الإسلامي، وقد اختفى الرجُل مفسحًا السـاحة للاعب أصغر سِنّا وأكثر قدرة عَلى تجنّب المطبات الشخصية ولم يكن ذَلِك اللاعب سوى عمرو خالد.

الأسْتَاذ الإرْهَابِي

في لحظـة معينة رأى عمرو خالد أن مِـن مصلحته أن يتبرأ مِن علاقته بالإخوان المسـلمين، كَان تبرؤه سـاذجًا، وينطوي عَلى قَدر مِن الكذب، لَمْ يقُـل أنّه كَان عضوًا فِي الجماعة ثُـمَّ لَمْ يصبح كذلك..كَانَ يكاد يَقُول أنّه لَمْ يمـر عَلى الجماعة مِن الأساس..اسـتفزّ موقفه أعْضَاءَ الجماعة، خرجت أدلة ووثائق كَثِيرة تريد أن تقول أنّه كذّاب.. تريد أن تقول أنّه انتهازي.. كَان مِن الإخوان واسـتفاد منهم، ثُمَّ غسـل يديه حين رأى الجماعة تتجه نحو الأفُول.

مـن بَيْنَ هَذه الأدلة التي أغرقت وسـائل التواصل الاجتماعي فيديو قديم يعود لأواخر الثمانينيات يقدم فِيه عمرو خالد الدَّاعِيَة وجدي غنيم

فِي أحَد المؤتمرات، كَان يقدمه كتلميذ له، وكتابع مخلص رُبما..

وجدي غنيم حالة فِي حد ذاته، مد خط التطرف عَلى استقامته حتّى انتهى بتأييد تنظيم داعش.. فِي بعض حالات الدُّعَاة المنتمين للإخوان كَان هناك اختيار التنصل مِن الجماعة، والتظاهر بالتنصل مِن أفكارها، والاندماج مع الوضع القائم، والاستفادة مِن المكاسب الاقتصادية، والاجْتماعيّة الكبيرة.. لسبب مَا رُبَّما يكون نفسيّا أو عقليّا سار وجدي غنيم فِي طريق آخر.

هو إخواني قبل أن يكون داعية..من أسرة صعيدية هاجرت إلَى الإسكندرية وعاشتْ فِي حي العوايد حَيْث يعيش المهاجرون والمهمشون عَلى حواف المدينة التي كانَتْ فيما مضى رمزًا للكوزموليتانية.

كانَتْ سَنوات صعوده كداعية هي نفس سنوات صعود الإسلاميين فِي مصر، ونفس سنوات استيلاء السّلَفِيِّين عَلى الإسكندرية، تخَرَّجَ فِي تجارة الإسكندرية وبدأ الدّعوة عام 76م، كَان يخطب فِي مساجد العوايد، ويقلد الشّيخ كِشْك الذي اعتبره أستاذه، كَان أسلوبه ساخرًا، هجائيّا، لاذعًا، وكان ذَلِك يناسب مستمعين ليسوا واثقين تَمامًا مِن أنهم يسيرون فِي الطريق الصحيح.

تحوَّل وجدي غنيم إلَى نجم مِن نجوم الكاسيت فِي الثمانينيات والتسعِينيّات وكوّن ثروة معقولة سمحت له أن ينتقل ليقيم فِي أحَد أحياء الإسكندرية

الراقية وإن استمرّ يخطب للبسطاء الذي يلائمهم أسلوبه أكثر.. كَان أقرب فِي الروح إلَى خطباء السّلَفِيّة لَكِنّه فِي مرحلته الثانية (في التّسعينِيّات) خاطب جمهور الدُّعَاة الجُدُد، صار يزور القاهرة أكثر، ويتردد عَلى منازل المشاهير والفنانات، غزا مجتمعات الدقي والمهندسين وهناك تأثر به عمرو خالد وقرّر أن يكون مِثله.

وفي حواري معه قال عمرو خالد إنّه لَمْ يكن مخطئًا فِي تاثره بوجدي غنيم، (كنت آراه وحوْله نخبة المُجْتَمَع ومسموح له بِكُلِّ شيء.. فلماذا ابتعد عنه؟).

ما يبدو ملفتًا فِي مسيرة وجدي غنيم أن حِسَّ التكفيري والجهادي فِيه انتصر عَلى حِسّ الدّاعِيَة الذي يميل للتغيير الاجتماعي الهادئ مِن خلال نشر التَّدَيُّن الفردي؛ حَيْث يُطبق الدَّاعِيَة فِكْرَة حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، ويبدأ بتغيير الفرد المُسلم، الذي يؤسس أسرة مسلمة، وتشكل تِلكَ الأسَر المسلمة مجتمعًا مسلمًا، ويؤدي ذَلِك فِي النهاية إلَى إعلان الدّولة المسلمة أو الإسلامية.. وجدي غنيم الذي حافظ عَلى نشاطه التنظيمي فِي الجماعة اعتقل عدّة مرّات. وأنهى وجوده فِي مصر حين قرر السفر إلَى الولايات المتحده الأمريكية بناء عَلى دعوة مِن الإخوان المُسْلِمِين هناك، وبعد أربع سنوات كَان عَلَيْه أن يغادر لأسباب أمنية، وقَدْ ذهبَ لعدة دول مختلفة كَان يُبعَد مِنْها بسبب تطرفه وعلاقته بالتنظيمات الجهادية

العالمية، وقَدْ مَدّ الخط عَلى استقامته ليحكم عَلَيْه بالإعدام فِي قضية تتعلق بالإرهـاب والانتماء لجماعة الإخوان المسـلمين، وصار مع الوقت عنوانًا للمواقف الغريبة والمُتطرفة؛ حَيْث سـجل فيديـو يُعلن فِيه تأييده لتنظيم داعش مادام يواجه الغرب، بل يتوقع فِيه أن ينتصر التنظيم عن الغرب.. ثم سَـجّل فيديو آخر كفّر فِيه الرئيس التونسي الباجي قائد السـبسي عَلى خلفية مشاريع قوانين الأحوال الشخصية فِي تونس، وهو ما أدّى إلى أزمة دبلوماسـية بَيْنَ تونس وتركيا التي كَان يقيـم وقتها عَلى أرضها، وكان له فِي أثنـاء ذَلِك فيديـو يهاجم فِيه الدُّعَاة الجُـدُد ويتهمهم بأنهم لا يلتزمون بالسَّـمت الإسـلامي، وأنه يضطر لغض البصر حين ينظر لبعضهم- فِي إشارة لَا تخفي عَلى لبيب!

وهو بِشكل عام نموذج لداعية تَماسَّ مع عالم الدّعوة الجَديدة فِي نقطة التقـاء قصيرة، غادر بعدها إلَى محطـة أخْرَى، وهو مِن وجهة نظر البعض الصورة الصادقة للدُعَاة المنتمين للإخْوان المُسْلِمِين دون كذب أو تَقيَّة!

من تغيير العالم..
إلى إعلانات الدجاج!

نحـن الآن فِي عام2018م.. وقد مَرَّت عشرون عامًا تقريبًا عَلى ظهور عمرو خالد كداعية.. رحلة طويلة جدّا.. بدأها كعضو فِي جماعة الإخوان، ثُمَّ كتلميذ لوجدي غنيم وريث الشّيخ كِشْك، ثُمَّ كداعية يلقي دروسًا فِي جماهير محدودة فِي مسـجد مغفرة، ويطوّر خطابًا مسـتوحى مِن الأخلاق البُروتِسْتانتية، خِطاب يدعو الناس إلَى تكوين الثروة ويُخبرهم أنهم سيصبحون مُسْلِمين جيدين إذَا كوّنوا ثروات كبيرة (1). كَان هَذا هو موضوع دَرْسِهِ الأشْـهَر (الشّـباب والصيف) الذي كَان خليطا يحتوي القليل مِن الدِّين والكثير مِن التنمية البشرية، لَمْ يكن عمرو خالد يُشبه سابقِيه، قدّم خطابًا

تحتاجه الطبَقات الصاعدة اجْتماعيّا فِي مِصر فِي الوقت الذي بدأ فيه، وقدّم خطابًا متأثرًا بنَمط الوعظ البروتستانتي عَلى مستويات عِدّة، وكان هَذا سِرّا مِن أسرار نجاحه.

كَانَ ظهوره فِي نفس العام الذي أعلن فِيه تنظيما الجماعة الإسلامية والجهاد مبادرة وقفِ العُنف، وكان بِشكل أو بِآخَرِ لنهاية أحلام التغيير الجماعي حتّى ولو لَمْ يُدرك هو هَذا..

تبناه رَجُل الأعْمَال السُّعُودِي صالح كامل وعيّنَه مستشارًا دِينيّا لقنواته، حوَّله مِن داعية مَحلي إلَى نجم غيّر حياة الملايين، وحين بدا للسُّلطات المِصرِيّة أن أضرار وجوده باتت أكثر مِن الفوائد وقررت منعه مِن الخطابة عام 2004 م ألقى له الشيخ صالح كامل بالعصا السحرية.. أخبره أنّه يستطيع تقديم برنامجه عَلى قناة "اقرأ" مِن أي مكَان فِي الكرَة الأرضية، هكذا كَان قرار المنع كأن لَمْ يكن.. نحن نتكلم عن داعية ذي أوجه مُتعَدّدة، ومشروع مَركب اشترك فِي تكوينه أطراف عديدة.. جماعة الإخوان ورجال الأعْمال المحافظون، والإعلام السُّعُودِي الراغب فِي مقاومة المُؤَسّسة الوهّابِيّة بنموذج أقرب لنمط الوعظ الأمريكي.

نحن أيْضًا إزاء محطات عديدة مِن الانتماء لجماعة الإخوان والتتلمُذ عَلى يد دُعاة أعْضاء بها أو قريبين مِنْها مِثل وجدي غنيم، وممارسة الوعظ فِي مساجد أصبحت بمثابة مراكز لحركة التَّدَيُّن الجديد فِي مِصر، إلَى محطة

أخْرَى هي الانضمام لقناة سعودية دينية هي "اقرأ"، والتأثير فِي الملايين مِن خلالها، ثُمَّ مَرْحَلَة ثالثة هي السّفَر إلَى لندن ونسج علاقات مع المراكز المهتمة بدعم نموذج إسلامي معتدل، مرورًا بتأسيس روابط صُناع الحياة، ثُمَّ العودة إلَى مِصر مِن بوابة تأييد أحَد مرشحي الحزب الوطني الديمقراطي فِي انتخابات 2010م، هَذا التأييد لَمْ يمنع عمرو خالد مِن أن ينزل إلَى ميدان التحرير ليشارك فِي ثورة يناير 2011م باعتباره مِن أعداء نظام مبارك، وهَذه المشارَكة نَفْسها لَمْ تمنعه مِن صياغة خِطاب مُهادن لسُلطة المجلس العسكري الذي تولي حُكم البلاد بَعْدَ سقوط مبارك، أمّا طموحه السياسي القديم الذي طالما تحدّثَ عنه معارضوه ونفاه هو فَقَدْ عبّر عن نفسه حين ترأس حزبًا سياسيًا هو حزب مِصر، وكل هَذا لَمْ يمنعه مِن تأييد ثوره 30يونيو التي أبقته فِي حال أقرب إلَى التجميد؛ حَيْث فَقَدْ المراكز الحليفة المؤثرة فِي بنية السُّلطة، ولم يعد لمؤيديه التقليديين مِن رجال الأعْمَال النفوذ نفسه الذي كَان لهم فِي عالم السِّياسة والإعلام، ولم يَعُد العصر ينظر بتسامح لأولئك الذين يحاولون اللعب عَلى حبال السِّياسة المختلفة، أمّا الرأي العام فَقَدْ صارت له ألسِنة حِداد لَا تتورع عن إلهاب ظَهْرِ أي داعية إن بَدَرَ منه تصرف يخالف المتوقع منه.

وهكذا وجَدَ عمرو خالد نفسه فِي مواجهة أزمتين كبيرتين، أولاهما فِي موسم الحج الموافق عام 2017م حين تورّط فِي موقف تمثيلي بدا فِيه وكأنه

يبكـي أمام الكعبة المشرفة، ويطلب مِـن الله الغفران لمتابعي صفحته عَلى موقع الفيس بوك، بدا الموقف تمثيليّا، وفَجًّا، وساعدت تقنيات الفيديو عَلى إيضاح الاصطناع والتمثيل فِي المشهد الذي لعب بطولته عمرو خالد، لَمْ يَعد أحدٌ عَلى استعداد لابتلاع الخطايا، بدا الرأي العام وقَدْ انضجته الثورات، والتغيرات، والانفتاح عَلى العالم، وبدت وسائل السوشيال ميديا مِثل وحش قاسٍ عَلى استعداد أن يبتلع شعبية عمرو خالد فِي لحظات.

الأزمة الثانية كانَتْ أكثر عمقًا، تفجّرت فِي شهر رمضان بالعام 2018م، حين ظَهَرَ عمرو خالد كبطل لإعلان عن شركة دجاج سـعودية، وكانَتْ الكارثـة أنّه أراد أن يربط الإعلان عن جودة الدجاج بأداء أفضل لصلاة التراويـح!.. انهالت حِمم وقذائف الإعلام بما لا طاقـة له به، بدا الهجوم عنيفًا، وقاسـيًا، وجارحًا، وبدا وكأنه يُسدد حساب سنوات منحه الناس فِيهَا تقديرًا لَا يسـتحقه، أو توقفوا فِيهَا عـن نقده باعتباره داعية يتحدث باسم الدين.

بدا الناس مصدومين رُغْمَ أنّه لَمْ يكن هناك أي شيء جديد عَلى الإطلاق، كَان أول ظهـور لعمرو خالد عَلى شاشـة التليفزيون المصري عام 1999م مرتبطـا بالإعلان، ولولا رعاية رَجُـل الأعْمَال محمد جنيدي الإعلانية لما أتيح لعمرو خالد أن يظهر، وهو خلال رحلته كَان قَدْ قدّم بضعة إعلانات لمنتجات سـعودية مِنْها عطور القرشي، الأَهَمُّ أنّ رَدَّ الفِعل الغاضب كَان

حسـابًا متأخرًا عَلى فِعل حدثَ مُنذ عشرين عامًا كاملة وهو تحويل مَا هو (رسـالي) وهو الدِّين إلَى مُنتَج تُجاري، يتم بيعه وجَنْي الأرباح مِن ورائه، وإذَا شئنا الدقة فإن هناك متغيرين، أولهما أن الرأي العام صار أكثر نضجًا ووعيًا، وثانيهما أن شـكل الاسـتغلال التجاري فِي هَـذه المرّة كَان الأكثر فجاجـة.. لكن هَذا لَا يعني أن عمرو خالـد لَمْ يكن ظاهِرة تجارية تهدف للربح مُنْذ ظهوره، كَان الرجُل كذلك، وصنّفته مجلة فوربس كأكثر الدُّعَاة دخلا فِي عام 2009م، وأعوام أخْرَى متتالية، وكان مَا يَجنيه مِن أرباح متسقًا مع مَا يدعو إليه مِن ضرورة جَنْي الثروة كَوَسيلة لأن يصبح المسلم مسلمًا صالحًا..

في بيت عمرو خالد

وعلى المستوى الشخصي فَقَدْ تابع كاتب هَذه السطور عمرو خالد مُنْذ عام 2002م، وكان لإسـهاماته فِي الكتابة عن ظاهِرة الدُّعاة الجُدُد نصيبٌ مِن التقدير العلمي، وقَدْ رأيت أنّه آن الأوان للاستماع لعمرو خالد، وقَدْ احتوى الحُوار أسـئلة عن المحاور الرئيسة فِي رحلة عمرو خالد.. علاقته بالإخوان.. علاقته بالغرب.. تأثره بالبُروتسـتانتيّة.. علاقته بالسياسة.. إلخ.. وقد تم الحُوار فِي بيته فِي مارس 2018م.. وهَذه أهَمّ محاوره:

الإخوان.. غرام وانتقام!

تمهيد: علاقة عمرو خالد بالإخوان علاقة معقدة، فهو بدأ كأحد كوادر الجماعة الطلابية في جامعة القاهرة، كَان رئيسًا لاتحاد طلاب كلية التجارة في منتصف الثمانينيات.. وهناك ألقى أول دُرُوس وعظية في حياته، كَان أيْضًا أحَد أعْضاء الفريق الانتخابي للمستشار مأمون الهضيبي في دائرة الدقي عام 1987م، وكان تلميذًا مخلصًا للداعية الإخواني وجدي غنيم وقتها، وحين غضب عَليْه الإخوان إذَاعوا له مقطعًا مِن فيديو قديم يقدّم فِيه وجدي غنيم لجمهور الحاضرين كما يليق بتلميذ أن يقدم أستاذه.

الأكيد أنّه بدأ دوره كداعية وهو عضو في الجماعة، وأن شبابَها ساندوه بقوة وكانوا جزءًا مِن فِرَق عمله، وجمهوره، ولا شَكَّ أنّه ترك مسافة بينه وبين الجماعة بحثًا عن مساحة حَركة أكبر، لكن العلاقة لَمْ تنقلب لعداء صريح إلّا بَعْدَ ذَلِك بسنوات..

حين تحدثتْ عنه مجلة "روزاليوسف" كظاهرة جماهيرية عام 2002م، ذكرت علاقته بالإخوان المُسلِمين كدليل عَلى أنّه ليس مجرد واعظ اجتماعي للمراهقين كما يقدِّم نفسه، وكتدليل عَلى أن مشروعه الوعظي يصبّ في النهاية في صالح الجماعة ويخدم فِكْرَة بناء الفرد المسلم (الملتزم دينيًا) كنواة لبناء المُجْتَمَع المسلم، ثُمَّ الدّولة المسلمة، كما طالبَ مؤسس الجماعة حسن البنا أتباعه.

اصطف الإخوان خلف عمرو خالد بدرجات متفاوتة حتّى صدمهم فِي 30يونيو فكَان العداء المعلن..

قابلت عمرو خالد فِي منزله فِي شهر مارس 2018م بوساطة مِن صحفي مصري صديق، وكان الهدف مِن الحُوار هو الحصول عَلى شهادته عن كل مَا أثير ضده خلال عشرين عامًا بدءًا مِن علاقته الملتبسة والمتراوحة بالإخوان، وبالوعظ البُروتِستانْتي، والرغبة فِي التحوُّل مِن داعية إلَى سياسي، والسعي وراء الثروة الشخصية والمكسب المادي، وتقديمه نفسه للغرب كبديل.. إلخ.. وقد استغرق الحوار وقتًا طويلًا، كما أنّه استغرق مِنّي وقتًا طويلًا فِي التفكير فِي كيفية معالجته بِشكل لَا يَخِلّ بموضوعية العرض وأمانة النقل فِي الوقت نفسه الذي لَا يتحول إلَى منصة دعائية أو لَا يتطرق إلَى قضايا غير التي يطرحها الكتاب.

(بدا عمرو خالد حين قابلته مهمومًا بالدفاع عن نفسه ضد اتهامات كَثِيرة طاردته بها عَلى مدى عشرين عامًا، وقَدْ بدا دارسًا لِهَذه الاتهامات والانتقادات التي قيلت فِي حقه لأقصى درجة.. وقد صمم أن نبدأ حوارنا بمقدمة استرسل فِيهَا فِي طرح عدّة افكار، وقَدْ بداها بالسُّؤَال (عمرو خالد جاي منين.. جاي مِن الطبَقَة الوسطى)... كانَتْ فكرته ببساطة أنّه داعية الطبَقَة الوُسْطى الذي جاء مِنْها، وأنه ليس داعية الأثرياء ورجال الأعْمَال..

وأنه ظلّ محافظا عَلى انتمائه الاجتماعي للطبقة الوُسْطى رُغْمَ تراكم أرباحه مِن عمله كداعية ومُقدّم برامج.

في الإِطار نفسه كَان يهمّه التَأكيد عَلى فِكْرَة أنّه شخص عِصامي وأنه صَنع نجاحه بنفسه عَلى مدى هَذه السنوات.. (لم يساعدني أحد)! هكذا قال لي.. لأتلقف الكرة وأسأله:

حتى جماعة الإخوان لَمْ تساعدك؟ ليجيب: (هناك فَرق بَيْنَ أن تعجبهم ظاهِرَة عمرو خالد، ويحاولوا الاستفادة مِنْها، وبين أن يتبنوا الظاهِرَة).. مِن وجهة نظري الشخصية لَمْ يكن مَا قاله عمرو خالد صحيحًا، كَان محاولة للتخلص مِن الإخوان بَعْدَ أن احترقت مَراكبهم.. لشباب الإخوان شهادات موثقة حوْل العلاقة العضوية بَيْنَ الجماعة والدَّاعِيَة وكيف تم تدعيمه عَلى أكثر مِن مستوى، وهي علاقة استمرت رُغْمَ نَفْي عمرو خالد لعلاقته بالإخوان مُنْذ بداية ظهوره، أَهَمُّ هَذه الشهادات كانَتْ شهادة الصحفي المصري عبدالمنعم محمود، وهو مِن شباب الإخوان الّذِين تركوا الجماعة عَلى خلفية خلاف حوْل التعامل مع ثورة يناير.. وقَدْ فصل فِي شهادته المنشورة عَلى صفحته الشخصية عَلى موقع الفيس بوك، بَعْدَ أن خَرَجَ عمرو خالد عَلى شاشة قناة "المحور" فِي نهاية 2017م لينفي أي علاقة له بالإخوان المسلمين، وكان مِن أَهَمِّ مَا قاله محمود أن د محمد يحيى الأستاذ بكلية الهندسة، وهو لعبَ فِي حياة عمرو خالد مزيجًا مِن دَوْر الرائد الفكري، والمُعلم،

والمستشار، د يحيى نفسه هو أحَد قيادات قِسم التربية فِي جماعة الإخوان المسلمين، وقَدْ قال عمرو خالد إنّه قطع علاقته به فيما بَعْدَ يونيو 2013م.. لكن هَذا لا يعني أن العلاقة لَمْ تكن موجودة طوال هَذه السنوات، رُغْمَ أن عمرو خالد ينفي علاقته بالإخوان مُنْذ عام 2002م عَلى الأقل، محمود تحدّثَ أيْضًا عن علاقة وثيقة جمعتْ عمرو خالد بالدكتور عصام الحداد مستشار الرئيس الأسبق محمد مرسي للشئون الخارجية، وبنجله عصام الحداد.. وعن تفاصيل أخْرَى عن دعم شباب الإخوان للحملات التي كَان عمرو خالد يَطلقها فِي برامجه المختلفة، فإذا وضعنا كل هَذه المعلومات إلَى جِوار بعضها البعض وإلى جِوار معلومات أخْرَى عن نشأته الإخوانية فِي الثمانينيات؛ فإن علينا أن نراجع مَا يقوله حول "استفادة" الإخوان منه. أو "استغلالهم" له.

الـ(ع) الرابعة..

كَان الجلوس مع عمرو خالد إضافة كبيرة بالنسبة لي.. ورُغم أن لقائي به لَمْ يحمل مفاجآت..إذا بدا أداؤه فِي الحوار تَمامًا مِثل أدائه فِي البرامج مُعَدّ مسبقًا ومُرتب بعناية.. إلا أنّه كشفَ عن طريقة تفكيره فِي نفسه بَعْدَ عشرين عامًا مِن احتراف الدّعوة.. هو ليس صاحب رسالة.. ولا حتّى واعظا محترفًا.. هو نجم مِن نجوم هَذا المُجْتَمَع.. وسيستمر كما يستمر النجوم!

كَان يردّ عَلى اتهامه بالتلوّن حَسَب العصر، وبالتحديد كَان يرد عَلى "اتهامي" له بالتلون..

(أنت اتهمتني بالتلوّن، ولكن أنا لَمْ أكَرِّم فِي أي عهد مِن العهود، لَمْ يُكرمني أحَد حتّى الإخوان الّذِين تقول إنهم ساعدوني.. أنا أظهر فِي رمضان مُنْذ عشرين عامًا، ومع ذَلِك كل عام أبحث عن قناة أظهر فِيهَا قبل رمضان!

أنا عصامي، ولديَّ إصرار عَلى الاستمرار، أنا مِثل عصام الحضري، وعادل إمام، وعمرو دياب! لديّ إصرار عَلى الاستمرار، لماذا لَا أكون رابع هَؤُلاء الثلاثة؟ وكل واحد مِن هَؤُلاء كَان لديه مِن المرونة والتعامل مع العصر الذي يعيش فيه، أَمُّ كلثوم كَان عندها هذه المرونة، عبدالحليم كَان عنده هذه المرونة... أنا ابتعدتُ عن الدين.. وأتحدث بِشكل إنساني كبَنِي آدم عايش فِي وطن).

الداعية والغرب!

العلاقة بالغرب هي الفصل الأكثر حيوية ودراماتيكية في مسيرة هَذا الداعية، هو مِن البِدَايَة مان متماسًّا مع نمط الوعظ الغربي "البُروتِستانْتي"، وفِي حُوارنا أكد كثيرًا أنّه لَمْ يكن يقصد، ولم يتعمد.. كَانَ هَذا فِي كلّ الأحوال عنصرَ تأثير كبير، وكان أيْضًا أحَد أسْباب النجاح.. وكما يروي لي فَقَدْ سافر للغرب مضطرّا؛ حَيْث تم منعه مِن الخطابة فِي مصر فِي عام 2002م، فسافر إلَى بيروت ليبقى هناك حتّى حادث اغتيال الحريري فِي فبراير 2005م؛ حَيْث اضطر بعدها للسفر إلَى لندن.. لكن الحقيقة أن هناك محطة مهمّة فِي علاقته بالغرب سبقت سفره إلَى لندن، وهي أزمة الرسوم الدنماركية المُسيئة للرسول(ﷺ) التي تفجّرت حين نشرت صحيفة "يولاندس بوست" الدنماركية 12 صُورَة كاريكاتيرية مسيئة للرسول(ﷺ) ما نتج عنه اعتراضات مِن المُسْلِمين هناك، لكن الأزمة تفاقمت حين أصرّت الجريدة عَلى موقفها وقَالَتْ إن النشر مِن صميم حرية التعبير.. وتصاعد الأمْر أكثرَ حين أعادت مجموعة مِن الصحف الأوروبية نشر الرسوم كشكل مِن أشكال التضامن مع حريه التعبير، لتصعد الجاليات الإسلامية مِن احتجاجها ويطوف وفدٌ مِن مسلمي الدنمارك العالم الإسلامي ليُصَدّر الأزمة إلَى الدول الإسلامية، وتتصاعد مشاعر الغضب، ويقود الشيخ يوسف القرضاوي عَبْر قناة "الجزيرة" حملة تحريض ضد الدنمارك، بينما

تتصاعد مظاهرات فِي دول إسلامية وعربية مختلفة، كَان مِن أبرز نتائجها حرق سفارتَي النرويج والدنمارك فِي دمشق فِي 4فبراير 2006م.

وفي وسط طوفان الغضب المتصاعد، وفِي ظِلِّ موجات الكراهية التي يُصدرها داعية وعالم ذو تأثير كبير مثل يوسف القرضاوي، يَظهر صوت يدعو إلَى الحوار كحلّ للأزمة!، كَان هَذا الصوت هو صوت عمرو خالد.. الذي لَمْ يكتفِ بإطلاق دعوته.. لكنه اصطحب وفدًا مِن مريديه الشّباب وذهب إلَى الدنمارك عقب أسابيع قليله مِن حرق سفارة الدنمارك فِي دمشق ليشارك فِي مؤتمر للحوار الديني، وكان هَذا كافيا لإثارة غضب القرضاوي الذي طلبَ مِن "الوعاظ" أن يلزموا حدود مساجدهم، وأن يتركوا الأمور الكبرى لعلماء الأمّة كي يقرروا كيف تسير الأمور فِيها..

كَانَ هَذا أول تمايُز لعمرو خالد عن موقف تتخذه جماعة الإخوان.. أو بمعنى أصحّ موقف يقوده عالم كَان عضوًا فِي الجماعة مثل يوسف القرضاوي.. وقد بذلَ عمرو خالد وقتها جهدًا لإرضائه، لكن الأكيد أنّه كَان بموقفه مِن أزمة الرسوم المسيئة قَدْ لفت أنظار الغرب بشدة، إن لَمْ يكن قَدْ نالَ رضاه بِشكل كامل.

العودة إلى لندن..

بِحَسَب مَا رَواه لي عمرو خالد فِي حوارنا فَقَدْ قضَى عامًا فِي بداية حياته العملية فِي لندن، كَان خريجًا حديثًا، وذهبَ فِي ضيافهة عَمٍّ له ليتدرب فِي فرع لأحد البنوك العَرَبِيَّة، كَان عَمُّه هَذا مديرًا له.. عاد بَعدها ليعمل محاسبًا، ثُمَّ يصبح داعية..لا أحَد يعرف ما الذي جرَى فِي هَذا العام.. لكنه عاد بَعْدَ ذَلِك إلَى لندن، عام 2005م، وأصبح الناس يعرفون بعضَ ما دارَ.

ذهب عمرو خالد إلَى لندن وقَدْ تشكلت ملامحه أمام الغرب، هو داعية يدعو إلَى التعايش فِي وقت يدعو فِيه الآخرون إلَى "العنف"، وهو يدعو إلَى العَمَل مِن خلال المُجْتَمَع المدني فِي وقت يدعو فِيه آخرون إلَى "الجهاد"، بل إنّه سَجَّل نفسَه كطالب فِي جامعة "ويلز" البريطانية ليدرسَ موضوع "الإسلام والتعايش مع الغرب" على وَجْه التحديد..، فهَلْ هناك مَن هو أفضل ليتم تَبنّيه ومساعدته؟

أيًّا كَان الأمْر فَقَدْ نشرتْ جريدة "الصنداي تايمز" في 30أبريل عام 2004م تقريرًا بعنوان "خطط بريطانيا السّريّة للفوز بعُقول وقلوب المسلمين".. وكَان التقرير يتحدث عن خطة المكتب السادس البريطاني لاستمالة مجموعة مِن الدُّعَاة المعتدلين للتأثير فِي الجاليات الإسلامية هناك واستمالة أبنائها بَعِيدًا عن شَبح تنظيم القاعدة، الذي كَان يضرب الأبواب بعنف وقتها، وقَدْ سألتُ عمرو خالد فِي حوارنا عن صحة مَا نُشر، فنفَى أنّه تعامل مع

مسئولين أمنيين هناك، وأكد أنّه تعاملَ مع سُفراء ومسئولين فِي الخارجية البريطانية، وبِحَسَب تصريحه (عمرو خالد لا يتعامل مع أمنيين، إنما يُمْكِن أن أتعامل مع سُفراء).. هَلْ يعرف عمرو خالد أن الأمنيين يُمْكِن أن يوجّهوا السُّفراء!؟ رُبَّما أسّسَ عمرو خالد منظمة "رأيت استارت" في لندن.. وقام بعدد مِن المشروعات الاجْتماعيّة لرعاية أبناء الجاليات الإسلامية هناك، وحصلت منظمته عَلى تمويل مِن داخل بريطانيا وقامت بمشروعات لمكافحة المخدرات بَيْنَ أبناء الجالية الإسلامية فِي بريطانيا، ومشروع آخر لرعاية السيدات المسلمات المطلقات..

لكن هَذا التمويل الذي حصلت عَلَيْه "رأيت ستارت" لم يكن هو التمويل الضخم الذي أشارت له هيئة الإذاعة البريطانية فيما بَعْد، ونشرتْ عنه مجلة "روزاليوسف" وقتها منسوبًا للموقع الإلكتروني لهيئة الإذاعة البريطانية.. كَان التقرير يتحدث عن إجمالي دعْم مُقدم مِن صندوق "دعم الفرص" في الخارجية البريطانية لروابط "صُنّاع الحياة" التي أسّسَها عمرو خالد عام 2004م، وهي سلسلة جمعيات تنموية تهدف للعمل الاجتماعي.. تحدّثَ التقريرُ وقتها عن دعْم قيمته 47 مليون استرليني لصُنّاع الحياة.. وقد نشرتْ "روزاليوسف" الخبر لأول مَرَّة فِي مِصر عام 2007م، لَكِنّه عاد للحياة مَرَّة أخْرَى عقب ثوره 30يونيو التي وضعتْ عمرو خالد تحت منظار النقد والتمحيص، وكان اللافت للنظر أن عدّة مواقع إلكترونية

عربيــة أعادت نشر خبر عن تَأكِيد الخارجيــة البريطانية للمعلومة، وكان ذَلِــك فِي 13يونيو2017م؛ حَيْث قال الخـبر إن الخارجية البريطانية أكدت المعلومة عقب تقديم استفسار لها بخصوصها.

على أن رَدّ فِعل عمرو خالد حين سـألتُه عن دقة المعلومة لَمْ يكن بقدر الجدية التي يثيرها اسم "هيئة الإذاعة البريطانية" في الأذهان؛ حَيْث عَلّق ضاحـكًا (لو كَان عندي 47 مليون اسـترليني لَمْ أكن لأبقَى فِي مِصر ثانية واحـدة! هذه أوّل مَرَّة أعرف أن الــ"بي بي سي" نشرت تقريرًا مثل هَذا!، أنا يُمْكِن أن أقاضيهم!).. وحينما قلتُ له إنهم نشروا اسْـم الجهة المانحة بالتفصيل وهي "صندوق دعم الفرص" في الخارجية البريطانية؟ استطرد قائلًا (لو معنا 47 مليونًا لكانَتْ "صُنَّاع الحياة" قَدْ فعلتْ الكثير، أو كنتُ "سرقتهم" وتحولتُ إلَى ملياردير)..

النيويورك تايمز تمد يد العون..

كتعبير عن أهميته المتزايدة لَدَى الغرب، وكتعبير أكيد عن رغبة بعض الدوائـر فِي اختبـاره كبديل سـياسي مُحتَمَـل.. كَان أن خصصتْ جريدة الـ"نيويورك تايمز" مُلحقها الأسبوعي فِي مايو2006م للحديث عن عمرو خالد.. ولإعداد المُلحق رافقته الصحفية الأمريكية سـامنتا شابيرو لعدة

شُـهور خلال 2006م.. وسـافرتْ معه لبلاد مختلفة، وكأنها كانَتْ تُجري "معاينة" على الطبيعة.. كَان الوقت قريبًا جدّا مِن مارس 2003م؛ حَيْث أسقطت القوات الأمريكية نظامَ صَدام حسين، وتضاربت تصورات مختلفة حول مستقبل النّظم الحاكمة فِي المنطقة..

سامنتا شابيرو التي كانَتْ وقتها فِي الثلاثين مِن عُمرها وضعتْ نُصْبَ عَينَيها مَا كتبته مجلة "روزاليوسف" التي كانَتْ أول مَن ألقَى الضوءَ عَلى عمرو خالد.. وحين جاءتْ إلَى القاهرة كَان أن جرى لقاء بينها وبين المؤلف.. لَمْ يختلف مَا قُلته لها عن مَا كتبته ولا عن رأيي فِي "ظاهِرَة عمرو خالد" طوال الوقت، لكن ما لفتَ نظري أنها بدتْ كطرَف مُنحاز ومتحمس.. وقد سجلت فِي تقريرهـا الذي نُشر يتاريخ 14مايو 2006م أنها دافعتْ عن عمرو خالد أمامـي قائلة إنّه يحب اليهود- كانَـتْ الصحفية يهودية أمريكية- وعندما سألتُها عن دليل عَلى محبته لليهود.. قائلة هو قال لي ذلك..

أيًّا مَا كَان الأمْرُ فَقَدْ حسمتْ "نيويورك تايمز" أمرَها، ونشرتْ المُلحق بعنوان "مد يد العون لمسـلم متطلع".. ولم يكن هَذا المسلم المتطلع سوى عمرو خالد، وإن كانَتْ الـ"نيويورك تايمز" لَمْ تُحدد إلَى أي شيء كَان يتطلع عمرو خالد؟.. كانَتْ الـ"نيويورك تايمز" تطالبُ الغربَ بمساندة عمرو خالـد، وكانَتْ حيثياتهـا فِي هَذا تقول إنّه "قادر عَـلى توظيف الاختلاف الداخلي فِي الإسـلام لأغراض معينة".. وكانَتْ الحيثية الثانية هي "قدرته

عَلى إرباك المعتدلين قبلَ المتطرفين فِي فهْم هويته الحَقِيقِية"، أمّا الحيثية الثالثة فكانَتْ "قدرته عَلى تجميع الناس حوله بالحديث عن الأخلاق".

أمّا هدف الدراسة التي أجرتها "شابيرو" فكَانَ توجيه الدّعوة لعمرو خالد لإقامة حوار مع الإدارة الأمريكية..

اعتبرتْ "شابيرو" أن "خالد" يقدم مَا يُمْكِن تسميته بـ"الطبعة الجَديدة مِن الإسلام)، وكان أهَمُّ مَا توقفتْ عنده أن دروسَه مطعمة بمصطلحات غربية وبأنه "محبوب بَيْنَ النساء"، كما أنّه قادر عَلى التأثير فِي "الجيل الثاني" من مسلمي أوروبا.

طافتْ "شابيرو" في عالم عمرو خالد ودروسه، وجمهوره، وكان أكثر مَا أهَّلهُ لكي تقدمه للإدارة الأمريكية هي "قدرته عَلى الدمج بَيْنَ الأسلوب الغربي والمعتَقد الإسلامي المحافظ"؛ حَيْث إنّه "عندما تستمع له فإنه يتعذر عليك فِي الغالب أن تقطع إلَى أيِّ الجانبين يميل؟".

كَانَ مُلحق الـ"نيويورك تايمز" بتفاصيله المختلفة تمهيدًا لزيارة يقوم بها عمرو خالد لواشنطن؛ حَيْث يُقدم نفسه بصورة أفضل، لكن الزيارة لَمْ تتم، ورُبَّما وجدتْ هَذه الترتيبات مِن يُفسدها.

لقد انتهى ملحق الـ"نيويورك تايمز" عن عمرو خالد بتصريحات لمسئول أمريكي لَمْ يذكر اسمه، لَكِنّه قال إنّه يأمل أن يلتقي ممثل للخارجية

الأمريكية بالداعية؛ حَيْث إن هناك الكثير مما يريد الأمريكيون أن يقولوه للعالم الإسـلامي مِن خلاله؛ حَيْث "لا مشـكلة لنا مع الإسلام المحافظ، ولكن مشكلتنا مع الإرهاب"!.

عندما سألتُ عمرو خالد عن تَبَنِّي الـ"نيويورك تايمز"، له كَان ما قاله مزيجًـا مِن الإعجـاب الزائد بالذات ومحاولة التملـص، إذ قال: (الغرب مولِع بِكُلِّ ظاهِرَة نجاح، ويفرد لها الصفحات، عندما تكون نتائجي عَلى الإنترنـت أفضل مِن أوبرا وينفري.. ماذا تتوقـع؟ لا بُدَّ أن يهتموا طبعًا، وليس فقط الـ"نيويورك تايمز"، التايم اختارتني كواحد مِن أكثر خمسـين شخصية مؤثرة فِي العالم، هُمْ يهتمون لأن عمرو خالد مؤثر، الاهتمام كَان فِي 2007م لأن نجاحـي كَان مؤثرًا، لو كانوا اهتموا بي فِي عام 2010م قبل الثورة مباشره لحقَّ لك أن تعتقد أنهم فكّروا فِيّ كبديل، لكن لستُ أنا الذي يراهن عَلَيْه الغرب كبديل، أنا لَمْ أعرف الربيع العربي سوى مِن التليفزيون، كنـتُ فِي "ديفوس" واتصلتُ بـأبي وقال لي لَا تُعلن موقفك إلا لو تدخَّلَ الجيش.. وفعلتُ هذا.. هُمْ اهتموا بي جدّا فِي 2007م.. وربما كانوا يبحثون عن شخص يَصلح، واكتشفوا أني لستُ هَذا الشخص).

رسائل لمن يهمه الأمر

كَانَ حواري مع الدَّاعِيَة عمرو خالد مُهمّا للغاية، ليس فقط لأن غريزة الصحفي بداخلي تميل إلَى التعامل مع مصدر المعلومة بِشكل مباشر، وتتقصي ردود الفعل المباشرة عَلى الأسئلة وتقيسها بمقاييس الصدق الإنْسَاني وبمقاييس أخْرَى قريبة، ولكن لأنه بدا لي مِن الإنصاف أيْضًا أن أستمع لشهادة رَجُل كتبتُ عنه عشرين عامًا متواصلة مِن وجهة نظري، دون أن تتاح لنا الفرصة أن نتحاور ودون أن تتاح لي الفرصة أن أسمعه..

أمّا الأَهَمُّ مِن هَذا فهو أن الحوار جاء حاملًا لرسائل، وكاشفًا عن تطورات مَرَّ بها عمرو خالد نفسه، في مَرْحَلَة اعتبرتها أنا مَرْحَلَة تراجع فِي شعبيته وانحسار لها..، وكان مِن ضمن ما لفتَ نظري أن عمرو خالد تجاوز مَرْحَلَة التبرُّؤ مِن الإخوان إلَى مَرْحَلَة العَمَل والكتابة ضدهم تحت إشراف الشيخ عَلى جمعة مفتي الجمهورية السابق كما قال، وكان مِن ضمنه تَأكِيده عَلى أنّه ليس فقط بعيدًا عن السَّلفية، ولكنه مُحب للموسيقى، يعشق عبدالحليم حافظ كنموذج، ويعشق فيروز كصوت.. بالإضافة إلَى رسائل إلَيَّ أخْرَى رأيت أنها دالة فِي توصيف المرحلة التي يَمُر بها عمرو خالد أحَد أبرز نماذج النَّمَط الجديد مِن الدّعوة فِي مصر.. وفي السطور الحالية أهَمّ مَا ورد فِي الحوار:

عمرو خالد لَدَيّه فِي النهاية موهبة منحها له الله، وهي القدرة عَلى

التبسيط، وهو ما لم يكن، وليس موجودًا إلَى الآن فِي الخِطاب الدِّيني، هذه القدرة عَلى التبسيط جعلتني أتهَم بـ"التسطيح"، وجعلتني أتهَم بأنني أقول كلامًا سـاذجًا!، لا..أنا عندي قدرة عَلى التبسيط، اعطني الفِكْرَة المعقدة وأنا أوصلها للولد الذي عمره 17سنة، أنا أستطيع أن أفعل هَذا.

– تجديد الخِطاب الدِّيني؟؟ أنا أعرف أوصله للولد الذي عمره17 سنة، دي (شُغلتي)، أو هَذه هي النعمة التي منحها لي الله، هَذه الموهبة أوجدتْ حالة مِن النجومية.. لماذا تحاسبني عَلى النجومية؟ أنا بدأت عَلى مصطبة فِي مسجد الحُصري.. مصطبة بمعنى مصطبة، كانَتْ الحاجّة ياسمين جاياها.. فين؟ فِي شوارع بَيْنَ "الحيتية" والعجوزة، أنا لَمْ أبدأ نجمًا إعلاميًّا، أنا لَمْ أبدأ تليفزيونيًّـا، أنا بدأت مِن عَلى الرصيـف، فعندما تقول أنت أنني وجّهتُ رسالتي للأغنياء فهذا غير صحيح، أنا وجّهتُ رسالتي للطبقة الوسطى، ليس لشيء سِوى لأنني أعرف كيف أكلمها، لأنني مِنْها.

فالرسـالة التي قَدمتُها تفاعلَ معها أبناء الطبَقَة الوسطى، لَمْ يتفاعل معهـا "اللي فوق قوي" ولا "اللي تحت قـوي"، كون بقَى جاء لي ناس مِن الطبَقَة العُليا فأصبح الموضوع لافِتًا للنظر، فهذا شيء جيد، وليس سيئًا.

لكن "الرسالة" بدأت مِن أين؟

– بدأت مِن مسجد فِي العجوزة، مسجد بسيط جدّا، لا يكفي إلا لمئتَي

فَرْد، كون أن الناس جاءت بأعداد كبيرة فهذا لأنه كَان هناك أسلوب جديد لعرض الدين، لَمْ يكن هَذا الأسلوب موجودًا مِن قبل، هَذا الأسلوب هو الدِّين المُبَسط، كل هَذه نُقط كنتُ أريد وضْعَها أمامك عَلى المائدة.

(2)

أنا مظلوم

– من الاتهامات التي طاردتني أيْضًا أنني متلون، وأنا لن أرد بأفكار، ولكن بمعلومات.. قُلْ لي ما هو العهد الذي تم تكريمي فيه؟

أنا عاصرتُ أربعة عهود.. مبارك، ثم المجلس العسكري، ثم مرسي والإخوان، ثُمَّ الرئيس السيسي... أين الوسام الذي حصلت عليه؟ أين التكريم فِي أيّ عَهْد، أين فتحُ الآفاق، حتّى فِي عَهْد الإخوان الذين قلتُ إنهم ساعدوني، أين قطعة الأرض التي حصلتُ عليها؟ أين المنصب؟ أين الوسام؟ أنا أول مَن أسّسَ جمعية خيرية وهي "صُنّاع الحياة"!! (تعليق المؤلف: يعود تاريخ العَمَل الخيري فِي مِصر إلَى قرن ماضٍ عَلى الأقل).. ومع ذَلِك لَمْ يُكرمني.. أنا لَمْ يتم تكريمي فِي أيّ عَهْد مِن العهود، أنا لَمْ يقُل لي أحَد خُذ هَذه القناة! أظهر فِيهَا فِي أيّ عَهْد مِن العهود، أنا أظهر فِي رمضان مُنْذ عشرين عامًا ومع ذَلِك فِي كل عام قبلَ رمضان أبحث عن قناة لأظهر فِيهَا!

أنـا عِصامي ولدَيّ إصرار عَلى الاستمرار، أنا مِثل عصام الحَضري، وعادل إمام، وعمرو دياب!، لَدَيّ إصرار عَلى الاستمرار، لماذا لَا أكون أنا رابع هَؤُلاء الثلاثة؟ وكل واحد مِن هَؤُلاء كَان لديه مِن المرونة والتعايش مـع العصر الذي يعيش فيه، أَمُّ كلثوم كَان عندها هَذه المرونة، عبدالحليم كَان عنـده هَذه المرونة، أنا ابتعدت عن الدين، وأتحدث بِشـكل إنسـاني، كبَنِي آدم عايش فِي وطن..

ملحوظـة: بدتْ رغبة عمرو خالد الذي عرفه الناس كداعية دِينِيّ فِي الابتعاد عن الدِّين فِكْرَة انتهازية تمامًا.. وقفزَ إلَى ذِهني السـؤال: إذَا كَان عمرو خالد يرغب فِي الابتعاد عن الدِّين فلماذا لَا يعود إلَى عمله كمحاسب؟ أَمْ أنَّ الهـدفَ هو الاسـتفادة مِن ثقة الجمهور لأقـصَى درجة ممكنة؟)... يواصل عمرو خالد..

لماذا لَمْ يقُل أحَدٌ هَذا الرجُل مُصِرّ عَلى الاسـتمرار، أنا عندي خمسـةن عامًا الآن، عندما بدأت أنت تهاجمني فِي "روزاليوسـف"، كنتُ شابّا غير ناضـج، عندي 27عامًا، أكيـد كَان عندي أخطاء، أنا لَمْ آتِ لأقول لك أنا مَلاك، أو أنا قديس، أو أنا لَا أرى أخطائي..

أنا أكثر شـخص قال كلمة "أنا آسـف" على الشاشة، وأتحداك، هات الرموز العامّة فِي مِصر وابحث كمْ واحدًا منهم قال "أنا آسف" على الهواء، أنا أكثر مِن قال "أنا آسف"، وبلا حرج؛ لأني واثق مِن نفسي، ولأني أخوض تجربة جديدة..

هَلْ تنكر أنني خضتُ تجارب جديدة لَمْ يخُضها أحَدٌ قبلي؟ فلماذا يُعاب عَلى أخطائي؟!

لا يجوز أن أقارن الطائرات الحديثة حاليًا بأول طيارة ظهرتْ، ولا أن أحسب كمية الأخطاء فِي أول طيارة..

أنا "اخترعت" فِكْرَة الدّعوة بشكلها الجديد، حلوة فِكْرَة "قَوّمُوه" وعلى فِكْرَة محصلتش..

أنـا أتيت بأفكار جديدة فِي العَمَل الخيري، وأفكار جديدة فِي الدّعوة، وأفكار جديدة فِي التعايش، وأتيت بأفكار جديدة فِي التعامل مع السوشيال ميديا، أنا أتعامل مع 40 مليونًا كل يوم، أنت تقول إن شعبيتي انتهت، كيف تكون شعبيتي قَدْ انتهت، و"اليوم السابع" قال فِي استفتائه فِي نهاية 2017م إن الأول عَـلى "تويتر" فِي مِصر عمرو خالد؟، والأكثر متابعة فِي الـ"فيس بوك" عمرو خالد، لأنك تتحدث عن أربعين مليون شاب، من العالم العربي كله، سِنّهم مِن 18 إلى 35 سنة، أنا يتفاعل معي عشرون مليونًا كل أسبوع، مِـن غير المعقول أن أكون أقول للناس كلامًا فارغًا طوال العشرين عامًا، !لا بُدّ أن عندي فِكر، لا يمكن "الهَبَل" يستمر عشرين سنة..

لا يمكن السـطحية تستمر عشرين سنة، كل هَذه الأشياء كنتُ أحب أن أقولها لك مِن زمان.

موقع الـ"بي بي سي" نشر تقريرًا قال فِيه إنك حصلتَ عَلى 47مليون استرليني كدعم مِن صندوق دعم الفرص في الخارجية البريطانية لجمعيات "صُناع الحياة" وأنت لم تُكَذّب التقرير؟!

– أنـا لو عندي 47مليونًا لا أبقَى فِي مِصر (يضحك)، أول مَرَّة أعرف أن الـ"بي بي سي" نـشرت تقريرًا مثل هذا، أنا ممكن أرفع قضية عَلى الـ"بي بي سي"..

هـم قالـوا إنك خصلـت عليها مِن "صندوق دعـم الفرص" في الخارجية البريطانية.. وجود تفاصيل يدعم مَا نشروه، مِن أين أعرف أنا مثلا صندوق دعم الفرص، هُمْ الذين قالوا..

– لـو معنا 47 مليونًا كانَتْ "صُنّاع الحيـاة" (كَسَّرَتْ الدُّنيا)، أو كنتُ سرقتهـم وتحولـتُ لملياردير، أنا لَمْ أضع فِي جيبي مليـمًا مُنْذ بدأت إلا مِن برامجي، أنا أذهب لقنوات فضائية كضيف وأرفض تقاضي مقابل مادي، أذهب لبيوت وأعطي دُرُوسًـا ولا أتقاضَى مقابلًا ماديًّا،، الأمْرُ نفسُـه فِي المَسَاجِد، نفس الأمْرُ نفسُه فِي الجامعات، ولكن كوَّنتُ ثروتي مِن برنامج رمضان، والبرامج التي أقدمها فِي التليفزيون، وأظن هَذا حقي، علمًا بأني أحيـا حياة كريمة جدّا، لكن والله ثروتي "ثُمْن" ما يتخيله الناس، وينطبق عَليَّ المَثل الذي يَقُول "الصّيت ولّا الغِنا"..

ولكـن مجلة "فوربـس" هي التي قَالَتْ إنك أغنَـى داعية فِي العالم العربي؟

– هناك أشـياء لَا تسـتطيع التعامل معها فِي شَـبَابك، الحجم الضخم الذي حدثَ لأنها كانَتْ شيئًا جديدًا غير موجود، هناك أشياء لَا تستطيع التعامـل معها، وهَلْ أرد أَمْ لا؟، الآن أنا أكثر نُضجًا، ولكن الحقيقة أنني أحيا حياة كريمة؛ لأني أعمل مُنْذ عشرين عامًا، لكن أن أحصل عَلى مقابل لدرس أعطيه فِي منزل فهذا لَمْ يحدث، مَرَّة كنتُ فِي إحدى الدول العربية، وطلبتْ مِنّي عائلة استشارة، زوج وزوجة وأبناؤهم، استغرقت ساعتين لأن الخلاف عَلى مسألة مادية، وأنا خارج قال لي الزوج هَذه أتعاب الاستشارة، وأعطاني "ظرف" به نقود، فقلتُ له عيب، أنا رَجُل مصري محترم، أنا أعطي استشـارة لأني أحترمكم.. إنما حصل دهشـة إني أكوّن ثروة مِن البرامج الدّينيّة، قالوا مَا كل هَذه الإعلانات عَلى برنامج ديني، معهم حق، ولكن هَذا حقي.. لَمْ آخذ حق أحَد..

– إنـما أن يقـال إنني حصلتُ عَلى نقـود مِن جِهَـةٍ خارجية فهذا غير صحيح، ولم أحصل عَلى مليم واحد، الأكثر مِن هَذا أنا أفكر عندما "أغَير" سيارتي!، قف أمام البيت وشاهد السيارات الموجودة!، إنما أنا أحيا حياة كريمة و"وربنا كارمني" كرَمًا كبيرًا فوق مَا كنتُ أستحق وأتخيل، لدرجة أن مِن أكثر مَا أفتخر به وأنا "ألِفُّ" العالم كلمة "مصري".

– أنا اضطررت أتركَ مِصر سنة 2002م لظروف نعرفها جميعًا، فهَلْ سمعتني أشتم فِي مِصر أو النظام المصري.. الأستاذ محمود سعد جاء لبيروت ليصور معي، وجلس أمامي ساعتين وكان لايزال فِي الـ"إم بي سي"، وهي قناة غير مصرية، ونحن فِي لبنان، وهو يسألني، ما الذي حدث فِي مصر؟، أقول له لَمْ يحدث شيء.. سألني مَا المشكلة؟، فقلت له عيب يا أستاذ محمود أن أكون خارج مِصر، وأتحدث عن مِصر، هات لي مقالة تحدثتُ فِيهَا عن مِصر بِشكل سيئ، أو حتّى عن الرئيس.. أنا كَان لَدَيّ تفاصيل عن طريقة خروجي مِن مِصر، وأنا لَمْ يخرجني أحَد ولكن خرجتُ برغبتي، وجدتُ أن الإقامة مستحيلة فخرجتُ، وأنا كنتُ مسافرًا للبنان، ولكن عندما أغتيل "الحريري" عرفتُ أنّه لَا يُمْكِن أن أستمر فِي الإقامة فِي بيروت، فسافرت عَلى لندن، وعندما سافرت إلَى لندن، ألحقتُ أبنائي بالمدارس واستقررتُ، ولكن فِي 2005م عدتُ لسبب بسيط وشخصي وهو أنني أريد أن أربّي أبنائي هنا، لَا أريد لهم أن يَكونُوا أجانب، لَمْ أكن أريد لهم أن يَكونُوا فاقدي الهُوِيّة، وأحب أيْضًا التَّدَيُّن المصري الذي لَا يُوَلّد نفاقًا، والذي لَا يُجبر الفتيات عَلى الحجاب بحَيْث تخلع الحجاب عندما تركب الطائرة..

– لو عُدنا لي فستجد أنني حافظتُ عَلى مظهري الذي كنتُ عَلَيْه قبل بدء الدّعوة، أنا لَمْ أدَّعِ أي شيء، أنا ابن الطبَقَة الوسطى، أنا مِصري جدّا، وكنتُ فِي لندن أسمع "شط إسكندرية" لأني مولود فِي الإسكندرية، فِي لندن

كنت أسمع "شط إسكندرية" لفيروز لأني أعشق أغاني فيروز وعبدالحليم، هَذه هي شخصيتي الحقيقة، ورُبَّما تقول لي ولكنك لَمْ تقُل هَذا فِي المَاضِي، وأنا أعترف لك أنّه لَمْ يكُن لَدَيَّ مِن القوة والنضج مَا يكفي لأن أواجه وأنا مازلت بمفردي كل أفكار السلفية، والإخوان، حاجات كَثِيرة كَان نفسي أقولها ! فرحان الآن عندما أقولها، نعم أنا أسمع عبدالحليم وفيروز، ولا يوجد فيلم أبيض وأسود إلّا وشاهدته، هَذا جزء مِن ثَقَافَة الطبَقَة المتوسطة، وأنا أحب هذا، وأحب تلقائية الدِّين، وعندما فهمتُ النبيَّ أكثر وبالذات مِن حديث د.عَلي جمعة، لَا هو تلقائي جدّا، يبكي، وينزل مِن عَلى المنبر ليحمل أطفاله، مَا كل هَذه البساطة والتلقائية؟ لماذا عَقّدتُم لنا الأمور؟ لماذا صورتم لنا نموذجًا غير موجود.. أخطاء كَثِيرة وقعتُ فِيهَا..

– منها مثلًا برنامج "ونلقى الأحِبَّة" الذي كَان بداية شُهرتي، قدمتُ فِيه الصحابة بِشكل مثالي، لا يوجد فِيه غير أن هُمْ ملائكة، وكأني أقول إن هَذا متحف، وإن هَؤُلاء غير قابلين للتقليد.. لا.. هم بَشَر، موفّقون مِن الله، ومرْضِيٌّ عنهم، لكن لديهم أخطاء، لأنهم بَشَر غير معصومين،.. هَلْ كَان لَدَيَّ مِن النضج وقتها مَا يكفي لكي أقدم "ونلقى الأحِبَّة" بهذه الطريقة.. في الحقيقة لا، فهمتُ هَذا فيما بَعد، وأستدركه الآن، وأقوله، ليس مجرد أفكار عندي، ولكن كتبتُه ونشرتُه فِي كُتُب، أيْضًا فِكْرَة الحجاب.. هَلْ الحجاب جزءٌ مِن الدِّين؟ طبعًا جزءٌ مِن الدِّين..أنا مؤمن بهذا.. لكن هَلْ نختزل

قضية المرأة فِي الحجـاب؟ لا.. غلط.. أنا أصحح معك مفاهيمي، إنما لو قلتَ لي هَلْ هو جزءٌ مِن الدِّين، أقول لك طبعًا، وهذا كلام الأزْهَر والإفتاء، والدكتور عَلي جمعة.. أغضب عندما يُقال إن الحجاب ليس فرضًا، ولكن فريق العَمَل الخاص معي فِيه فتيات غير محجبات، ودروسي يحضرها فتيات غـير محجبات، وأكون قاصدًا لهذا، وليـس لأني أريد أن أجعلهن يرتدين الحجـاب، ولكن لأني مؤمـن أن المرأة فِي تقديري أكثر نقـاءً مِن الرجُل، اسـتعدادُها النفسي أعلى، وهي أيْضًا أكثر إيجابيـة، والدليل التفاعل عَلى السوشيال ميديا، أنا مؤمن بالمرأة جدّا، فأنا لَمْ أكن نصيرَ المرأة حتّى أكسب نجومية، لَا أنا اتربيت عَلى هَذا، ورأيت زوجة عَمّي سيدة أعمال ناجحة، أنا "جاي" مِن هَذه الطبقة، رأيت كيف يعامل أبي أمي وكيف يعطيها الأهمية، رأيت أختي وهي تدرس فِي مدارس فرنسية وتلتحق بوظيفة فِي بنك كبير، وأختي لَمْ تكن محجبة حتّى أصبحتُ أنا "داعية إسلامي"، أنا لَا أتحدث فِي هَذه الأمور، ولكن الحجاب ليس قضية تسـتخدم، ولا تسـتخدم لجذب مزيد مِن الأصوات فِي الصناديـق، لا.. أنت بهذه الطريقة تصل لـ"الأنا" عن طريق الإله، تستخدمها التيارات المتشددة ويستخدمها الإخوان..

– الإسلام دين جميل جدّا، وهذا مَا يجعلني أستمر عشرين عامًا كداعية؛ لأني أرى فِيه أبسط وأسـهل، وأفضل الطرُق للتوازن بَيْنَ المادة والروح، وهو مَا نفتقده فِي العالم الحالي، لو عشـنا الإسلام الصحيح أو بَيْنَ قوسين

(الإسلام المصري).. هَذا لا يعني أني أختزل الإسلام في الإسلام المصري، ولكن صُدّرَ للعالم عن طريق النقود ألوان أخْرَى مِن التَّدَيُّن لَا تُعبر عن حقيقة الإسلام، أنتجت كتبًا، النقود كانَتْ قوية وغيّرت الـ100 سنة مفاهيم، كيف تفكر أن شاب عنده عشرون عامًا أو 35عامًا يستطيع أن يواجه هَذه الأفكار، أمّا الآن فكل أفكاري أقولها، لَمْ أقلها مِن الأول، قَدَر، لأن الشكل الذي ظهرت به كَان عجيبًا لِهَذه التيارات، تعرضتُ لحرب كبيرة لأن برامجي كَان بها موسيقى، وغُنا، الآن كل البرامج الدّينيّة فِيهَا موسيقى وغناء، أنا كنت أعبّر عن حالة، ولم أكن أستطيع أن أقولها مباشرة، أنا أحب عبدالحليم حافظ، وفيروز، ولكن وضعتُ الموسيقى فِي برامجي، رُغْمَ المشاكل، الإخوان نشروا لي صُورَة بيدي منديل يتخاصم عَلى خطفه شباب وبنات، المفارقة أن الصورة عائلية، وهؤلاء شباب عائلتي، بنات مِن عائلتي، لَمْ أرد، أنا مِن الطبَقَة الوسطى، ومع ذَلِك أنا رسالتي دينية.

اعتذار عن السياسة

– أنا أعتذر عن دخول السياسة، كَان الأمر أشبه بـ"تسونامي"، كلنا كنا متلخبطين، أتحداك لو قلت إن هناك مَن كَان يرى المستقبل أو الرؤية واضحة لديه، مبارك ورجاله فِي السجن، والذين كانوا فِي السجن أصبحوا فِي الحُكم، وشوية شباب (عيال) أصبحوا هُمْ قادة مِصر، زلزال مخيف أحدث شرخًا، وأنا تأثرت به طبعًا، لخبط أفكاري؟ طبعًا، افتقدت الرؤية؟ طبعًا..

أخطات بدخول السياسة؟ طبعًا.. هَلْ استفدت مِن التجربة؟ طبعًا، لأني عرفت أن السِّياسة ليست (مقاسي) وأني لستُ هَذا الشخص، الحمدُ لله أني اعتذرت، وتراجعت مبكرًا.

– أنا لَمْ أكن أفتي، حتى لَا أدخل فيما لَا أفهمه، أنا مِن أسرة طيبة، وما أبحث عنه هو التقدير، كنتُ أقوم بعمل ليس عَلى مقاسي، ولكن لماذا ذهبتُ له؟ خطأ.. رُبَّما، أو رُبَّما لأن الشّباب كله كَان متجهًا للسياسة وأنا أخاطب الشباب، اكتشفتُ أن أحدًا لَا يريد أن يسمع سوى هَذه اللُّغَة، ناس دفعتني فِي هَذا الاتجاه وهُمْ مخطئون..رُبّما.. ولكن ماذا اكتشفت فِي النهاية؟ اكتشفتُ أني مِثل قصة سيدنا يونس.. ربنا قال له أريدك فِي هَذه المنطقة، فتمرّد، وخالف إرادة الله، فربنا وضعه فِي بطن الحوت، أنا كنتُ فِي بطن الحوت أثناء الحزب السياسي، فترة ليست طويلة، حوالى سنة، سحبتُ نفسي، وقدمتُ اعتذارًا، أعتقد أني مُنْذ أربع سنوات أعمل عملًا راقيًا جدّا، اكتمل النُّضج، تخليتُ عن أي مستشار يريد أن يذهب فِي هَذا الطريق، بدأت (عمرو خالد الجزء الثاني)، أقضي ساعات طويلة علمية مع الدكتور عَلي جمعة.. طويلة، لفهم المَدْرَسَة والتتلمذ فِي المَدْرَسَة بعمق؛ لأنه يجمع بَيْنَ الحياة، والدِّين، وهذا غير موجود كثيرًا، وهو فاهم للتراث بِشكل لَمْ أره وأنا أدّعي إني طفتُ العالم، أفهم منه وأبسط المعلومات، وسنتين جالس فِي البيت، أكتب وأقرأ، وأتعلم، وسألت نفسي أين ستتجه؟، فقررتُ أن

أعود للشباب فِي "السوشيال ميديا"؛ لأني لَا أبحث عن الأضواء كما كَان البعض يراني.. أنا أريد أن أخاطب الشّباب وليس أن أظهر فِي التليفزيون، هَذه نقطة تُحسَب لي، لو أبحث عن النجومية لما استطعتُ أن أفارق الشاشة، اسـال أي مقدم "توك شـو" ماذا يحدث له عندما لَا يظهر عَلى الشاشـة.. أمّـا أنا فلا تفرق معـي هَذه الأمور، أنا لَا أخرج مِـن المنزل إلا كل فترة، وكل عملي مِن المنزل، ولا عملت مكتب ولا بهرجة، أين مظاهر البهرجة فِي حياة عمرو خالد؟.. أين الشاليه الذي أملكه فِي الساحل الشمالي؟.. هَلْ تعرف أين؟ فِي آخر قرية قبل مرسي مطروح.. قرية فقيرة.. حتى أستطيع أن أستمتع مع زوجتي وعائلتي، لَا أريد مارينا وهاسيندا.. أنا أريد أن أربي أبنائي بِشكل جيد، ولا أظن أنهم سيَكونُون جيدين لو ذهبوا إلَى هناك، أنا أسـتاجر فِي الساحل ولا أملك، وأرى أن المتعة فِي التبسيط، ومنزلي هذا، واسـع كما ترى، لأني أريد أن أسـتضيف الناس، وأن يكون لَدَيّ صالون ثقافي، وهذا مِن أحلامي التي حققتها، وأنا أشرح لك أغواري.

– أعود مَرَّة أُخْرَى للسياسـة، أنا جلسـت فِي البيت سنتين وأصدرت كتابين "الإيمان والعصر"، و"الأهداف الإنْسَانية للقرآن"، وهذا كتاب يقاوم أفكار سـيد قطب، هَلْ تعرف لماذا يستمر سـيد قطب حتّى الآن؟ لأنه لَمْ يظهر أحَد بحرفية سيد قطب يرد عليه، لأن هو نحّات، ولكن يَقُول كلامًا خطيرًا جدّا، هَلْ أنا كنت منبهرًا فِي لحظة مِن اللحظات بسيد قطب؟ نعم؛

لأنه لَمْ يكن هناك غيره، ولكن متى بدأت أدرك؟، فِي لحظة مِن اللحظات وجدتُ أنّه يَقُول كلامًا خطيرًا.. أمّا أن تأخذ الإسـلام كله أو تتركه كله، فهَذه بداية سكة التكفير، هو يَقُول مثلا (الإسلام لَا يقبل أنصاف الحلول)، ولكن النبي قَبل أنصاف الحلول، إلَى أين تريد أن تأخذنا، يتحدث فِي تفسيره للقرآن عن المُجْتَمَع الجاهلي.. هَذه سكة التكفير، لَا أتحدث عن كتاب "معالم فِي الطريق"، ولكن أتحدث عن تفسير "فِي ظلال القرآن".

– كتابي الذي يقاومه يدخل مِن مداخل إنسـانية الإسلام، ويَقُول إن الإسلام دين الإنْسَانية، تتحدث عن الرحمة والحُب والجَمال وعدم العنصرية والطائفية، تطلع تقدير المرأة، فِكْرَة الإنْسَانية، الدِّين يحب الحياة.

هناك عدّة ملفات عندما يُذكر اسم عمرو خالد يتم ذِكر هَذه الملفات أو الاتهامات، مِنْها مثلا مَا قاله البعض مِن أنك داعية "بروتستانتي"، بمعنى أنك تأثرتَ بأسلوب الوعظ البُروتِستانتي.. مَا تعليقك؟

ـ أقْسِمُ بالله أنني لَمْ أرَ واحدًا منهم! لا رؤية بالوجه، ولا سماعًا بالأذن، ولا رؤية فِي تليفزيون. ولا مِن خلال الإنترنت، لأن وقت أن بدأت لَمْ يكن هناك إنترنت، أنا بدأت كما أنا، سأروي لك قصة عن عبدالحليم حافظ لأني مُتيم به وأحب أن أسمع كل حواراته، المذيعة أماني ناشد كانَتْ تستضيفه، وسـألته وقَالَتْ له أنت وعبدالوهاب متهمان بتقليد الموسـيقى الغربية.. فقال لها.. أنا جئت وعبّرت عن نفسي، وكل الموجودين كانوا يقولون مَن

هَذا الذي جاء ليفسد الغناء ويبسطه، وقال لها أنا أحب البساطة، لذلك أنا فرحتُ جدّا بما قاله..

ولكن سامح مويس راعي كنيسة قصر الدوبارة أكد أنك كنت تستمع له وتقلده؟.

– لا أنا لَمْ أرَ الذين فِي الغرب، ولا الذين فِي الشرق، أنا السيد سامح موريس مع تقديري واحترامي لَمْ أرَهُ لَا وجهًا لوجه، ولا عَلى تليفزيون، ليس فقط بَعْدَ سنتين أو ثلاث مِن بدايتي للدعوة، ولكن حتّى الآن، ولو رأيته كنتُ سأرحب بالحوار معه، ولكن لَمْ يحدث، وهَذه مِن المغالطات التي أحب أن أرد عليها.

ولكنك تأثرتُ بظاهرة الدُّعَاة التليفزيونيين، أو كنائس الهواء، وهذا التأثر واضح جدّا.

– لماذا لَا نقول إن هَذه الأنماط المتشابهة ظهرتْ فِي عدّة أماكن فِي نفس الوقت نتيجة احتياج، ثُمَّ افرض أنني رأيت وقلدت، لَمْ يكن لأخجل أن أقول إنني شاهدتُ هَؤُلاء الوعاظ وتأثرت بهم، النبي اقتبس فِكْرَة الخندق مِن الفُرس، ليس عندي حرج أن أقول لك استفدتُ مِن هؤلاء، لكن لَمْ يحدث، أنا جئت وعبّرت عن نفسي كما أنا، بِلغتي، بشكلي، لَمْ أفكر ماذا سيقول عنّي الشيوخ، ولا ماذا سيقول عنّي الغرب؛ لأن أحَد أسْباب

نجاحي التي أقول إنها مستمرة إلَى الآن بما أفعله فِي "السوشيال ميديا"؛ الإصرار عَلى "الرسالة" كما أنت، أحب فيلم طير أنت مِن أجل الرسالة فِي نهاية الفيلم، التي تقول لك كُنْ نفسَك، أنا ممكن أخدعك شهرين أو ثلاثة، لكن لَا يُمْكِن أخدعك عشرين سَنة، أقدر أمثل عَلى مراتي سَنة، لكن لا يُمكن أخدعها عشرين سَنة، أحَد أسْباب إسلام عالم اجتماع أمريكي عندما رأى زوجات النبي بيقولوا عَلَيْه إيه!! قال مَن كَان هَذا سلوكه فِي بيته لا بُدَّ أن يكون صادقًا.

هناك تفصيلة أخْرَى خاصة بالدّمجك بَيْنَ الدِّين ومناهج التنمية البشرية؟

– هذه موجودة عندي، ولكن لَمْ أبدأ بها، هي ظهرت بَعْدَ تسع سنوات مِن بدايتي للعمل فِي برنامج "صُنّاع الحياة"، لماذا لَا تقول إنها تُعبر عن مزيد مِن النضج، لماذا لَا تقول إن عمرو خالد شخصية تعشق التطور، أنا لو كنت جامدًا لما وصلت لما وصلت إليه الآن، التطور جزء مِن الشخصية، وأنا يحصل لي كل فترة مِن الزمن مراجعة تفكير، مَا الذي قدمتُ، مَا الذي يَجِب أن يصلح؟ يقولوا عليك كذا وكذا.. أكيد هناك أشياء فِي النقد الذي يوجّه لك صحيحة، مثلا قلتُ لنفسي لماذا كل كلامك عن المرأة فقط؟ صحيح هناك ثوابت، ولكن هناك أيْضًا متغيرات..عيب الإخوان أنهم لَمْ

يفرّقوا بَيْنَ الثوابت والمتغيرات، لَا يجوز أن يكون العنوان العريض للمرأة هو الحجاب.

– بالنسبة للتنمية البشرية كانَتْ هناك نقطة خطيرة، أين ستذهب هَذه الشحنات الدّينيّة..قلتُ بِشكل واضح لا بُدَّ مِن إيجاد قناة يفرغ فِيهَا الشّباب الذين استمعوا لعمرو خالد طاقتهم بَعِيدًا عن التيارات المتطرفة، إذن أنا فقط لَمْ أبدع فِكْرَة جديدة، ولكن قلتُ حلّا، وقلته بِشكل رسمي، وقلته أكثر مِن مَرَّة إعلامِيّا، ورسميّا، فِي موضوع التنمية البشرية لَمْ أقلد الإنجيليين، حتّى فِكْرَة التنميــة كَان الموضوع مصريّا جدّا، أنا مؤمن أن الإغراق فِي المحلية هو طريق العالمية، أنا مُغرق فِي المحلية، أنا أعيش مع الاحتياج، أول تسع سنين كَان عَليّ أن ألبّي الاحتياج الروحي للشباب بِشكل مبسط، وبعدها كَان هناك احتياج أن يقوم الشّــباب بِأَيّ دَوْر بدلًا مِن أن يذهب فِي ســكة التطرف، فنشأت فِكْرَة "التنمية بالإيمان"، و"صُنّاع الحياة"، بالعكس هي فِكْــرَة رائعة فِي أصلها، هَلْ هي تقليد للإنجيليين؟ أبدًا!،هَلْ تشــابهتْ.. رُبما، هَلْ التشابه إيجابِي؟ نَعم إيجابِي.. والله برافوا عليهم إنهم بيعملوا كده، سيدنا عمر اقتبس فِكْرَة الدواوين مِن الفُرس وهُمْ كانوا أعداء الإسلام.. هَــلْ تعرف ما الذي اســتفدته مِن الغرب فعلًا؟ فِكْــرَة التعايش، ولم أكُن أعرفها فِي مصر، ولم يكن الشــعب المصري يعيشها، كنت أحادي التفكير حتّى ذهبتُ للبنان فوجدتُ 18 طائفة، ثُمَّ ذهبتُ للندن، فِكْرَة التعايش لَمْ

أفهمها أصلا إلا عندما سافرتُ، ثُمَّ فوجئتُ أنها موجودة فِي ديننا، فعملتُ الدكتوراه بتاعتي عن الشريعة الإسلاميّة والتعايش.

هَلْ تَعتبر أن الدُّعَاة الجُدُد ظاهره بدأت معك؟

– نعم؛ لأني ظهرتُ بِشكل جديد ومحتوى جديد، فهي بدأت معي طبعا، ولكن أنا لَمْ أظهر بمحتوى جديد؛ لأن مِن أين سآتي بمحتوى جديد؟

– أحد أسْـباب نجاحي الإصرار على "الرسالة"، كما هي، أحب جدّا فيلم "طير أنت"؛ لأنه يَقُول "كُنْ نفسَك".

ما تفسيرك لظاهرة الدُّعَاة الجُدُد؟ وهَلْ بدأت معك؟

– طبعًا بدأتْ معي، أنا ظهرتُ بأسلوب جديد، بفِكْرَة جديدة، بعرض جديد، ولكن ليس بمحتوى جديد؛ لأن مِن أين سآتي بالجديد، مَا أقوله وليد إمّا التجارب والخبرات أو الكتب، ونحن قلنا إن هناك مَن أنفقَ مليارات عَلى كتُب بعينها، لكن أنا لَمْ أكن سلفيّا، ولم أعبر عن الفكر الإخواني، إذَا كنتُ تقصد بالتجديد الشكل.. فطبعًا الشكل كَان جديدًا، وكان هناك تجديد فِي الفكر والتوجهات، كنت أقول لا يوجد جديد بَيْنَ حياتك المعاصرة وبين توجُّهاتك، تسـتطيع أن تعيش حياتك المعاصرة وتكون متدينًا فِي الوقت نفسـه، وهَذه كانَتْ أحَد أسْباب النجاح؛ لأنه كَان هناك تعطش روحاني لَمْ يخدم، لأن المطروح كَان مِن السّـلَفِيِّين والإخوان.. أمّا أن تكون متدينًا

أو تعيـش حياتك؛ فكَانَ الـرّد.. أعيش حياتي، فجاء عمـرو خالد وقال تسـتطيع أنك تعمل الاتنين سَوَا، وقدّم نفسه بهذه الطريقة، وكنتُ ألعب الكرة، وأذهب للمطاعم، وأسمع أغاني.

الملف الثالث هو الثروة.. أنت ظهرتَ مع بداية ظهور طبقة جديدة فِي مِصر.. وكنت تُشجع الناس عَلى أن يَكوِّنُوا ثروات، وتقول إن المسلم الغني أفضل عند الله مِن المسلم الفقير..

– أنا كنت أقول هَذا الكلام حتّى الأسبوع المَاضِي، نحن أمّة تعاني مِن الفقر، حتّـى متى يظل رجال الدِّين يدغدغون مشـاعر الفقراء، بالكلام عـن أن الرسـول كَان فقيرًا؟.. كلام الزّهد قيل فِي وقـت كانَتْ الأمّة فِيه غنية، والأموال متوافرة، فكَانَ لا بُدَّ أن تبحث عن أشـياء تقلل مِن حدة الاستهلاك، إنما الآن أنت أمّة لا تجد القوت.. ورجال الدِّين يقولون الفقر جميل، فنبقى فقراء هكذا كَان رسول الله.. أي إطار فِكريٌّ هذا؟

عندما يظهر الرئيس السيسي ويَقُول المِصرِيّون أغنياء.. هَلْ هَذا أفضل أَمْ عندما نقول فلنتمتع بفقرنا؟.. الفقر ليس عيبًا، لكن التحوّل مِن الفقر إلَى امتلاك المَال طموح واجب.. لماذا سـنزايد عَلى بعض؟ أليس الرسول هو الذي قال (اللهم إني أعوذ بك مِن الكفر والفقر)..

الخوف أن يؤدي خطابك لأن يحاول الناس الكسب بأي طريقة؟

– أنـا قلتُ حديث (ما نبتَ مِن حرام فالنـار أولى به)، أنا كنت أدعو لثَقَافَة العَرَق، وطـرْق الأبواب؛ لأن الفقر يجلب معاصي أكبر مِن الفقر، ديننـا هو الذي قال (نِعم المَال الصالـح للرجل الصالح)، بمعنى يا ريت الصالحين يكون معاهم فلوس، أليس الفقر هو الذي أتى بالعشـوائيات وزنى المحارم وبالتالي أتى بالإلحاد، أليس الفقر هو الذي جعل جزءًا مِن المتطرفـين يكره الحياة ويتمنى الموت، أليس عَـليّ بن أبي طالب هو الذي قال لو كَان الفقر رجُلا لقتلته، ألم يكن الرئيس السادات يستدل دائمًا بهذه الكلمة لعليّ بن أبي طالب، هَلْ الدّعوة للغني أصبحت تهمه؟!

– تفسيراتها السـيئة هي التي أصبحت تُهمة، الفقير سيقول لك ليس لي ذنب أني فقير.. شجِّعني أو علمني..

– أبـو حامد الغزإلى يَقُول لك كيف تتغير الصفات فِي البَشَر؟ يقولك أي صفة تريد تغييرها الزم عكسها، لو أنتَ بخيل.. انفقْ بسخاء حتّى لو هيتنصب عليك لمدة سته أشهر، حتّى تتمكن الصفة منك ثُمَّ توازن.. تفاجأ أن علماء النفس يقولون لك أي إنسـان يلتزم صفة لمدة سـتة أشهر ترسَّخ فيـه، لمـاذا لا تقول إن عمرو خالد كَان يفكر بهـذه الطريقة.. لَا يُقلل مِن الفقراء أبدًا، ولكن يدفع حافز الغنى مِن الجانب الدّيني ليتحرك الناس نحو العَمَل والإنتاج.. أنا صاحب فِكر ووجدتُ أمّة فقيرة، هَلْ أرضَى بالسلالم الخلفية والعالم كله يصعد مِن السلالم الأمامية حتّى نكون مسلمين جيدين،

هَلْ يجوز أن يعيش الناس عَلى فِكْرَة أن الرسول كَان يضع حجرًا عَلى بطنه مِن شدة الجوع؟ هَذا كَان يوم معركة.. هَلْ يعقل أن نحوّل يوم معركة إلَى مَثَل.. دائم، خَرَجَ الرسول مِن بيته جائعًا.. فلقي أبا بكر فقال مَا أخرجك قال الجوع، فلقيا عمر فقالا مَا أخرجك فقال الجوع.. هَذه القصة يضرب بها المَثل عَلى أنهم كانوا جائعين، ولكن فِي الحقيقة لَا هو يُشبه مِن قَالَتْ له زوجته إن المنزل خالٍ مِن الطعام فخَرَجَ يبحث عن مطعم يأكل فيه، هَذا عَلى سبيل المثال، فقالوا فلنبحث عن فلان لنأكل عنده.. ففلان هَذا ذبح لهم شاه وشوّاها.. إذن لَمْ يكن يوجد فقر.. كَوْنِي ذهبتُ فِي الاتجاه الآخر لهزّ هَذه القناعات ليس عيبًا، ولاأزال حتّى الآن أقول إن النبيَّ كَان غنيًّا وليس فقيرًا، وهَذه مِن الأفكار القديمة الجديدة، لَمْ أتبرأ مِن هَذه الفكرة، وأراها مِن الثوابت الضرورية للأمّة.. ممكن أن ترى مَثلا أنها تحتاج لأن توزن بكلمتين، كلمة (من حلال) وأنا قلتها وكلمة (لا بُدَّ أن نحترم الفقراء)، وهَذه نسيتُ أن أقولها وأنا أتحدث معك بمنتهى الشفافية..

الملف الرابع هو علاقتك مع الإخوان.. الناس ترى أنك عضو فِي الإخوان.. كنتُ تعمل بالاتفاق معهم لتغيير المُجْتَمَع وتنفّذ فِكْرَة حسن البنا حول إعداد الفرد المسلم، ثُمَّ الأسرة المسلمة، ثم المُجْتَمَع المسلم، وبالتالي تركوك تعمل ودعّموك، والخلاف لَمْ يحدث إلّا متأخرًا جدّا عَقب يونيو 2013م.. وبالتالي أنتَ كنتَ تخدع الناس كل هَذا الوقت وتقول لستُ أخوانًا وأنتَ منهم.

– خلينا ناخذ التاريخ.. عمرو خالد شاب يحب الدِّين جدّا، ولايزال.. دخل الجامعة سَنَة 84.. طلع مِن الجامعة سَنَة 88.. مين موجود فِي الجامعة فِي هَذا التوقيت.. يصعب شاب متدين يدخل المسجد فِي هَذا التوقيت ولا يجد الإخوان.. هَذا كَان في حُكم الرئيس مبارك، وهو لَمْ يكن عنده اختيار أن يواجه الإخوان مواجهة حقيقيّة، ولكن كانَتْ عملية (لِعب) مع الإخوان.. تؤدي إلَى أنك فِي وقت مِن الأوقات تجد وجدي غنيم داخل الجامعة.. تنبهر أَمْ لا؟ وكَان وجدي غنيم وقتها يدخل بيوت المشاهير، ويعطي دروسًا فِي بيوت المشاهير.. ولايزالون مشاهير إلَى اليوم.. رموز إعلامية ورموز فِي الدولة.. دَمّه خفيف جدّا، ولم يكن بهذا الجنون والتطرف، رُغْمَ وجود بوادر فِي سخريته الحادة، الناس وقتها كانَتْ تتعامل أنّه فنان مضحك ويأتي باللمحة الدّينيّة وهو شخصية ساخرة.. ما الذي تتوقعه مِنّي؟

المفروض الدّولة هي التي تؤاخذ عَلى هَذا، ليس الشباب، هَلْ تؤاخذ الشّباب أنّه تأثر بفكر كَان مفتوحًا له أبواب الجامعة، هَلْ تحاسبني عَلى أني ظهرتُ فِي فيديو.. مِن الذي لَا يتطور؟

ثانيًا.. عندما خرجتُ مِن الجامعة تفاعلتُ مع هَذا الفكر، ولكن أبي أرسلني لأعمل مع عمّي فِي البنك العربي الإفريقي فِي لندن، فسافرت أعمل فِي بنك، وهَذه كانَتْ نقطة تحوُّل كبيرة فِي حب الحياة، ولم أقم كثيرًا، فقط لمدة عام، وكنتُ أعيش معه فِي منزله، عندما عدتُ بدأتُ رسالة عمرو خالد،

ولا كلمة فِي علاقتي بالإخوان، لأني فارس نبيل، لَا أخدع المُجْتَمَع..، وقتها عمرو خالد كَان يرى العلاقة بَيْنَ الدّولة والإخوان تسير بطريقة جيدة، لكن هو لَمْ يكن قَدْ أدرك الأخطاء فِي فِكر "الإخوان المسلمين"، ولكن مع الوقت بدأ يُدرك أشياء خطيرة جدّا.. مَثلا كل الكُتُب التي ظهرت فِي المئة سَنة الأخِيرَة كانَتْ تقول إن الرسول أسّس تنظيمًا سِريّا وكان يلتقي بأعضائه فِي دار الأرقم بن أبي الأرقم، وعمرو يحب أن يدرس ويقرأ.. فاكتشفتُ مَثلا أن دار الأرقم بن أبي الأرقم بينها وبين الكعبة 300متر.. عند جبل الصفا.. هذه ليست معلومة عادية.. همّا كانوا خمسين.. لو تقابلوا لمدة عشر سنوات لا بُدَّ أن تعرف قريش.. قلت هَذا كذب وافتراء، وحذرتُ الشّباب مِن الانضمام لتنظيم سِرّي تأثرًا بالرسول، قلتُ الرسول لَمْ يؤسس تنظيمًا سريّا، وأنا فِي الجامعة لَمْ يقل أحَد لي مِثل هَذه العبارة.. كثيرون هاجموني وقالوا لي أنت تلونت وتقول كلامًا ضد الإخوان.. أنا أقول لا.. عندي رسالة لا بُدَّ أن أؤديها..

الفِكْرَة الثانية.. دَعيتُ للفاعلية الرحيمة عكس المظلومية، عندما ذهبت لعبدالسلام المحجوب قالوا ده تلوّن، لماذا لَمْ تقل إنني كنت أقول صراحة أنا ضد الإخوان.. وقتها هاجموني بشده مُنْذ 2005م، عندما ذهبتُ للدنمارك، فِي الدنمارك قلت سأذهب بوفد مِن الشّباب لهناك، الذي نصحني بالفِكْرَة بطرس غالِي، والذي افتتح المؤتمر الصحفي الشيخ عَلي جمعة، والذي هاجمني

عَلى شاشة الجزيرة هو القرضاوي الذي قال نريد أن نؤجج الغضب ويريد أن يُطفئه.. وقال شـوية الوعّاظ يقعدوا فِي المَسَـاجِد ولا يتحدثوا فِي شأن الأمة، ومن يومها لَمْ أدخل قطر، ووقتها كل الإخوان شتموني.. ماذا تُسَمي ذهابي للدنمارك، أو تأييدي لعبدالسلام المحجوب فِي انتخابات 2010م.

هناك مواقف اتخذت فِي 2007م عملتُ برنامج "دعوة للتعايش" يهاجم المظلومية والصِّدام..

قيـل إن المخابرات البريطانيـة تبنّت مجموعة مِـن الدُّعَاة أنتَ مِن بينهم.. بعد تفجيرات لندن؟

– هذا غير صحيح، أنا عُدتُ إلَى مِصر قبلها، عدت 2005م وتفجيرات لندن حدثت 2007م.. أذهب طبعًا للندن، وعندي هناك مؤسسة هي "رايت ستارت"، وأنا لَمْ أتعامل مع المخابرات أبدًا، لكن أتعامل مع سفراء فِي كل أنحاء العالم حتّى أكون واضحًا..

قيـل إن الغرب يتبناكَ كبديل سـياسي، وإن هَـذا كَان طموحك، و"نيويورك تايمز" أرسـلت صحفية هي "سامنتا شـابيرو" لازمتك لمدة شهرين لتكتب عنكَ.. مَا تفسيرك؟

– الغرب مولع بِكُلِّ ظاهِرَة نجاح ويُفرد لها الصفحات.. عندما تكون

نتائجي عَلى الإنترنت أفضل مِن أوبرا وينفري.. ماذا تتوقع؟ لا بُدّ أن يهتموا طبعًا، وليس فقط الـ"نيويورك تايمز".. "التايم" اختارتني مِن أكثر 50 شخصية مؤثرة فِي العالم، ومركز الملك عبدالله اختارني كواحد مِن أهَمِّ عشرين شخصية فِي العالم الإسلامي، هُمْ يهتمون لأن عمرو خالد مؤثر، الاهتمام كَان 2007م؛ لأن النجاح كَان مؤثرًا، ممكن تفكر لو الاهتمام حصل 2010م قبل الثورة، لستُ أنا الذي يراهن عَليْه الغرب لتغيير، لَمْ أعرف بالربيع العربي سوى مِن التليفزيون، كنت فِي ديفوس واتصلت بأبي وقال لي لَا تُعلن موقفك إلا لو تدخّل الجيش.. وهكذا فعلتُ جدّا.. أنا لَمْ أكن أعرف ماذا يعني الربيع العربي؟ ليس لَدَيّ دافع لهذا.. أنا ناجح بمجهودي.. ولا أحتاج لهذا، هُمْ اهتموا جدّا فِي 2007م، وربما كانوا يبحثون عن شخص يصلح، واكتشفوا أنني لستُ هَذا الشخص.

دُعاة وبُروتستانت

تناقش السطور التالية قضية حساسة، لكنها لن تصبح كذلك إذَا أدركنا عن ماذا نتحدث بالضبط، نحن نتحدث عن تأثر كبير للدُعَاة الجُدُد بالمذهب البُروتستانتي فِي الديانة المسيحية، لكننا لَا نتحدث عن تشابه فِي التعاليم الدّينيّة، نحن نتحدث عن تأثيرات فِي لغة الخطاب، وفِي الأشكال التي اقترب بها الدُّعَاة الجُدُد مِن الناس.. وقَدْ سألت عمرو خالد مباشرة، فأقسم أنّه لَمْ يَرَ أيًّا مِن الوعاظ البُروتستانت لَا فِي الداخل ولا فِي الخارج.. وشَبّهَ نفسَه بعبدالحليم حافظ الذي وجّهت له تهمة الاقتباس مِن الموسيقى الغربية فقال إنّه عبَّر عن نفسه ببساطة وفقط.. وهو يَقُول إن أي تشابه بينه وبين الوعّاظ البُروتستانت جاء لأن الجميع ظهروا فِي وقت واحد نتيجة احتياج

المُجْتَمَعات.. بالنسبة لي كَان عمرو خالد يؤكد وينفي فِي الوقت نفسه.. فهو بَعْدَ أن ينفي نفيًا تامًّا يعود ليقول لي (ثم افرض إني رأيت وقلدت، لَمْ أكن لأخجل أن أقول إنني شاهدت هَؤُلاء الوعاظ وتأثرت بهم، النبيّ اقتبس فِكْرَة الخندق مِن الفُرس، ليس عندي حرج أن أقول لك استفدت مِن هؤلاء، لكن لَمْ يحدث، أنا جئت وعبّرت عن نفسي كما أنا ولم أفكر ماذا سيقول عنّي الشيوخ أو ماذا سيقول عنّي الغرب).

المحتجون

في 1517م ظَهَرَ (المُحتَجّون) لأول مرّة، عَلّق قس غاضب مئة احتجاج له عَلى الكَنِيسَة الكاثوليكية، عاقبه البابا لكن الناس أيدوه وشاركوه فِي احتجاجه، فولد المذهب البُروتستانتي.. وبَعِيدًا عن الدخول فِي تفصيلات مُعقدة فإن أَهَمَّ ما قدمته البُروتستانتيّة للناس هي أنها قَالَتْ لهم إن الخلاص ليس بالأعْمَال ولكنه فقط يأتي بالإيمان بنعمة الله، أو برحمة الله.. إن هَذه الفِكْرَة موجودة فِي الأديان كلها، إنها الفِكْرَة نَفْسها التي تبنّاها خِطاب الدُّعَاة الجُدُد وعلى رأسهم عمرو خالد.. نحن ندخل الجنة برحمة الله لنا.. إن هَذه فِكْرَة نقيضة تَمَامًا لما يروّجه خِطاب دُعاة السّلفية، الغاضبون، المزمجرون، الذين يلقون خطاباتهم بنبرات صوت عالية، وغاضبة، ويخبرون الناس أنهم يدخلون الجنة والنار بأعمالهم، وإن مَن يرتكبون كبائر الذنوب لن

يكون مصيرهم سوى النار، وعذاب القبر عَلى يد الثعبان الأقرع.

تستطيع أن تقول إذن إنّه كما احتجّ "البُروتستانت" على المؤسستين الدينتين "الكاثوليكية" ثم "الأرثوذكسية" احتج الدُّعَاة الجُدُد عَلى خِطاب الدّعوة السّلَفِيّة القائم عَلى الزجر والتخويف، واحتجوا أيْضًا فِي صمت عَلى المُؤَسّسة الدّينيّة التقليدية، لكن الحقيقة أن احتجاجهم هَذا لَمْ يُعبر عن اجتهاد حَقِيقِي، ولم يجرؤوا أساسًا عَلى المجاهرة به..

فِكْرَة دخول الجنة برحمة الله، التي هي معادل لِفِكْرَة (الخلاص بالنعمة وليس بالعمل) يُعبر عنها داعية مثل خالد الجندي حين يَقُول إنّه مِن المستحيل أن يُدخِل الله المُسْلِمِين النار، فَفِي العالم مليارات مِن غير المسلمين، وملايين مِن المُسْلِمِين الذين ليسوا عَلى مذهب السُّنة، وأقلية الأقلية هُمْ المسلمون الصالحون، الذين لَمْ ينجرفوا لهوّة الابتداع، وليس منطقيّا أن يترك الله كل هَؤُلاء ليعذب المُسْلِمِين السُّنة الذين لَمْ يتبعوا فرقة ضالة).

من أوجه التشابه أيْضًا ذَلِك القرب والتشابه الذي بات يجمع الدُّعَاة الجُدُد مع جمهورهم؛ حَيْث لا زيّا كهنوتيّا خاصّا، فهم لا يرتدون ذَلِك الجلباب وغطاء الرأس القادم مِن الخليج وذات الطابع التاريخي الذي يرتديه دُعاة السّلَفِيّة المشاهير ليبدو الواحد منهم وكأنه خارج مِن فيلم تدور أحداثه فِي العصور الوسطى.. وهُمْ أيْضًا لا يرتدون الزي الأزهري الشهير الذي يرتديه وعّاظ الأوقاف والعاملون فِي دار الإفتاء، وعلماء

الأزْهَر بِشكل عام، يرتدي الدُّعَاة الجُدُد زيّا يشبه مَا يرتديه جمهورهم مِن المهنيين ورجال الأعْمَال والموظفين.. ذلك أنهم هُمْ أنْفُسهم ليسوا رجال دين أو (كهنوت) بالمعنى التقليدي..

لقد كانَتْ فِكْرَة عدم وجود رَجُل دين بالمعنى التقليدي فِكْرَة بروتستانتية أيْضًا، رُغْمَ أن الإسلام أيْضًا لَمْ يعرف رجال الدِّين أو الكهان ولكن العلماء.. الذيـن تحوّل بعضهم لمرتبة كهنوتية معنوية مع مرور الوقت، هَذه الفِكْرَة مرتبطة بفِكْرَة رحمة الله للبَشر، فمادام الله رحيمًا فأنت لست فِي حاجة لمن يتوسط بينك وبينه لأنه سيدخلك الجنة برحمته وليس بعملك.. وهكذا فإن ثَمَّةَ تشابهًا آخر ناتجًا عن قراءة مختلفة..

ولم يكـن هَذا كل شيء؛ حَيْث طالبت البُروتِسْتانتية أن تكون العبادة باللُّغَة التي يتكلمها الشعب وليس باللُّغَة التي يتحدثها العلماء، شيء مِن هَذا حدث مع الدُّعَاة الجُدُد الذين حدّثوا الناس بالعامية البسيطة وليس باللُّغَة القديمة والمُنغمة التي كَان يستخدمها علماء الأزهر، ولا باللُّغَة العَرَبِيَّة ذات الجرس الخليجي التي يستخدمها دُعاة السلفية، وقَدْ كَان ذَلِك مَلمحَ تشابه ثالث مع البُروتستانتيّة.

الاسـلام والثـروة

على أن مَلمح التشـابه الأَهَمّ، كَان ذَلِك الموقف مِن العَمَل والثروة.. وكَان للأمـر تجلياته المختلفة، ذَلِك أنّه لَا يخفي عَلى أحَد أن الدُّعَاة الجُدُد أعلوا مِن شأن فِكْرَة الثروة فِي الإسلام، وقَدْ كان ذَلِك مِن أهَمِّ مَا طرحه عمـرو خالد حين ظهوره؛ حَيْـث اعتبر أن جمع الثروة وسـيلة لرضا الله ولإعطاء صُورَة مشرفة عن الإسلام، وقَدْ شاركه فِي هَذا كل الدُّعَاة الجُدُد، وتحدث فِيه عمر عبدالكافي الذي اعتبر نفسـه داعية المَلأ (الارستقراطية القرشية الكافرة)، وخالد الجندي الذي تحدّث كثيرًا عن أثرياء الصحابة مثل عبدالرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان وفضلهم عَلى الإسلام.. وقد سألتُ عمرو خالد عن تبنيه لهذا الخِطاب وكانَتْ وجهة نظره كالتالي (نحن أمّة تعاني الفقر، وحتى متى سيبقى رجال الدِّين يدغدغون مشاعر الفقراء بالكلام عن أن الرسـول كَان فقيرًا؟ الحديث عن الزهد فِي الإسـلام قيل فِي وقـت كانَتْ فِيه الأمة غنية، والأموال متوافرة، فكَانَ لا بُدَّ مِن البحث عن مَا يقلل مِن نَهم الناس للاستهلاك، ولكن الآن أنت أمّة لا تجد قوت يومها.. ولا يزال رجال الدِّين يقولون إن الفقر جميل وإن علينا أن نبقى فقراء لأن لرسـول كَان كذلك.. أي إطار فكري هذا؟ هَلْ عندما نقول نريد أن نكون أغنياء أفضل، أمْ عندما نقول فلنستمتع بفقرنا!.. أنا أقول إن الفقر ليس عيبًا، لكن التحوُّل مِن الفقر إلَى امتلاك المَال طموح واجب.. أليس

الرسـول (ﷺ) هو الذي قال (اللهـم إني أعوذ بك مِن الكفر والفقر).. وعندمـا قلتُ له إنك كنت تدعو النـاس إلَى جمع المَال وليس إلَى العَمَل.. وهناك فَرْق لأن جمع الناس قَدْ يكون بوسـائل غير شريفة، قال (أنا قلت حديـث مَا نبـت مِن حرام فالنار أولى به).. أنا كنت أدعـو لثَقَافَة العَرَق، وطرْق الأبواب؛ لأن الفقر يجلب معاصي أكثر مِن الكفر!

ديننا هو الذي قال نِعم المَال الصالح للرجُل الصالح، بمعنى أنّه ليت الصالحين يَكونُون اثرياء، أليس الفقر هو الذي أتى بالعشـوائيات وزنى المحارم وبالتالي أتى بالإلحاد!، أليس الفقر هو الذي جعل جزءًا مِن المتطرفين يكـره الحياة ويتمنى الموت، أليس عَلي بن ابي طالب هو الذي قال لو كَان الفقر رجُلا لقتلته؟، ألم يكن الرئيس السـادات يسـتدل بهذه الكلمة لعلي بن أبي طالب؟، هَلْ الدّعوة للغنى أصبحت تهمة؟).

كما قلت لعمرو خالد في حوارنا فإن مشـكلته أنّـه عندما ظَهَرَ في عام 1997م كانَ يدعـو الناس لجمع المَال، وليس للعمل.. وبين الاثنين فارق كبـير.. عَـلى كل حال لا يمكن تجاهَلْ الربط بَيْنَ مـا دعا إليه عمرو خالد وبين مَـا شرحه عالم الاجتماع الألمـاني "ماكس فيـبر" في كتابه "الأخلاق البُروتستانتيّة" 1904م؛ حَيْث يرى فيبر أنّه في البلاد المُتعَدّدة الطوائف فإن أصحـاب الثروة والنفوذ عادة مَـا يَنْتَمُونَ للطائفة البُروتسـتانتيّة؛ حَيْث تهتم البُروتِسْـتانتية بمباهج الحياة المختلفة، وترى أن عَلى الفرد أن يعيش

باستمتاع وإثارة ومتعة)، فضلًا عن أنها (تعتبر العَمَل تعبيرًا عن تمجيد الله وتعظيمه وليس لتحقيق مكاسب شخصية)، و(يكون العَمَل متقنًا كلما اتصف صاحبه بالأخلاق الرفيعة، وبالإيمان القوي فِي قلبه، والناتج عن الثقة فِي النفس)، وهو يرى أيْضًا أن الرأسمالية ليست سوى التطور الطبيعي للبروتستانتية، بمعنى أن الناجحين فِي أعمالهم هُمْ أولئك الذين يصطفيهم الله لكي ينجحوا، ومن جانبهم فإن أعمالهم تكون متقنة كلما تحلوا بالأخلاق الرفيعة، والإيمان القويم..

كَان مِن ضمن الأفكار التي بدت مؤثرة أيْضًا فِي خِطاب الدُّعَاة الجُدُد ومشتبكة معه ولها أصل واضح فِي البُروتستانتيّة، أن الله لَا يحاسب الفرد عَلى أعماله الدّينيّة المنفصلة عن حياته أو عن عمله أو عن حياته الاجتماعية، لَكِنّه يحاسبه عن حياته كوحدة واحدة، وبالتالي فإن عَلَيْه أن يبلي بلاءً حسنًا فِي كل المجالات، كانَتْ الفِكْرَة الرئيسة التي طرحها فيبر أن الرّأسْمالي هو ذَلِك الشخص المتدين الذي يحوّل عمله إلَى نوع مِن العبادة المستمرة، وكلما نجح فِي عمله أكثر، كلما تقرّب إلَى الله أكثر.. وكَان ذَلِك هو عين مَا يقوله عمرو خالد حرفيّا (عاوز أبقى مسلم غني علشان الناس تشوفني تقول ده مسلم غني، وتحب الدين) أو (عاوز أبقى غني علشان أعزم الناس وأحببهم فِي دين ربنا).

نحن الآن فِي نهاية التّسعينيّات، وقَدْ بدأت الدّولة مُنْذ سنوات فِي

سياسات التكيف الهيكلي وبيع القطاع العام، وبدأ تأسيس طبقة جديدة مِن رجال الأعْمَال فِي مصر..

نحن خارجون مِنذ سنوات الثمانينيات التي كَان الكاتب الناصري أسامة أنور عكاشة هو المسئول الأول عن صياغة وعي المِصْرِيِّين ورؤيتهم للأمور، لَمْ يكن يحتل منصبًا رسميًا يخوله هذا، لَكِنّه كَان مؤلف المسلسلات الأكثر شعبية فِي تاريخ التليفزيون المصري، وفِي أحيان كَثِيرة كانَتْ الشوارع تخلو مِن المارة أثناء إذَاعة مسلسلات "ليالي الحلمية" و"الشهد والدموع"، لَمْ تكن هناك قنوات تليفزيونية باستثناء قناتَي التليفزيون المصري، وكان أسامة مسئولًا بِشكل أو بِآخَرِ عن صياغة وعي المصريين.. في "الشهد والدموع" نرى ذَلِك الصراع الشهير بَيْنَ "إيزيس".. و"ست" إله الشر.. وهو هنا أخ غني وشرير قتل أخاه واستولى عَلى ثروته، وكانَتْ "إيزيس" امرأة فقيرة تُربي أبناءها عَلى الانتقام مِن العمّ بالنجاح الدراسي والمِهَني.. بِشكل أو بِآخَرِ كَان أسامة مؤثرًا فِي كُتّاب آخرين، وكان الموقف الفكري مِن الأغنياء يميل إلَى إدانتهم، وكان هَذا محل شكوى رجال الأعْمَال الجُدُد.. الذين بدوا رأسماليين كما قال الكِتاب، إنهم ليسوا تجارًا عابرين أو مهربي مخدرات عَلى نمط رشاد عثمان وتوفيق عبدالحي، هُمْ مهنيون ناجحون ومعجبون بالغرب، ومعتنقون للمذهب الليبرالي، وكثيرون منهم مرتبطون بدوائر المصالح الغربية، كَان فِي هَؤُلاء فِي حاجة لمن يُعبر عنهم.. وقد

حدث هَذا.. ظهـر عمرو خالد مثل إعصار جماهيري.. وتسـلم الدَّاعِيَة الراية مِن الكاتب..

مع قدوم التِسعِينِيّات وتوغلها لَمْ يَعد الكُتّاب والمثقفون والمهنيون هُمْ الذين يصيغون وعي المصريين، تولى الراية حتى الآن الدُّعَاة ورجال الدين.. صاروا يَتَحدّثونَ للناس فِي كل الموضوعات.. من الجنس بَيْنَ الزوجين إلَى أمور الاقتصاد والبنوك.. وما بينهما كثير.

إذا عدنا لعمرو خالد وزملائه مِن الدُّعَاة الجُدُد فسنجد أن هناك عدّة ملاحظات، أولاها أن الدّعوة للعمل تختلف عن الدّعوة لجمع المَال.. وفي حين دعت البُروتسـتانتية للعمل.. دعا الدُّعاة الجُدُد إلى جمع المَال.. وثمة فارق كبير.. أما الفارق الآخر فهو أنّه فِي المُجتَمَعات الغربية الراسخة فإن ثَمَّـةَ طريقًا واحـدًا مأمونًا لجمع الثروة هو العَمَل.. أمّـا فِي مُجتَمِعاتِنا فإن الدّعوة إلَى جمع الثروة هي غالبًا دعوة إلَى الفساد، ومخالفة القانون، والتورط فِي شـبكات المصالح.. وثمة ملاحظة ثالثة وهي أن البُروتستانتيّة وحركة الإصلاح الدِّيني مارست تغييرًا فِي العظم بالنسبة للديانة المسيحية، وكانَتْ ثورة دينية حقيقة فيما يتعلق فِي العلاقة بَيْنَ المواطن والمُؤَسّسة الدّينيّة، وفيما يخص النظرة للعالم، ودور الدِّين فِي حياة البشر، وليس سِرّا أن هَذا الإصلاح الدِّيني كَان سِرّ نهضة العالم الغربي وانطلاقته، فإذا انتقلنا للدُعَاة الجُدُد سنجد أنّه غير مسموح لهم بالفتوى، وإن مستوياتهم العلمية لا تسمح له بمجرد

التفكير فِي مناقشة المُؤَسّسة الدّينيّة، وبالتالي فنحن نتحدث عن تأثر شَكْلِيّ ينفي الدُّعَاة الجُدُد حدوثه مِن الأساس، ويتحرّج الجميع مِن الحديث عنه وليس عن تطور حَقِيقِي أو تأثر مشروع انطلاقًا مِن الحضارة الإنْسَانية هي وحدة واحدة تؤثر مراكزها الأقوى فِي مراكزها الأضعف.

كَنائِس الهَواء

الأصل الأمريكي للدّعاة الجُدُد

مُنْذ أنْ قرّرَ الرئيسُ السادات تطبيقَ سياسة التقارب مع الولايات المتحدة الأمريكية، أصبحَ تأثير الثَقَافَة الأمريكية عَلى حياة المِصرِيّين طاغيًا، حتّى ولو كَان الشُّعور العام يحفل بمشاعر الكراهية لأمريكا، فالأفلام التي تحتل دَوْر العرض السينمائي هي الأفلام الأمريكية، وهي كذلك التي يعرضها التليفزيون الرسمي حين كانَتْ قنواته وبرامجه محط أنظار المشاهدين، ومحلات الطعام الأكثر انتشارًا هي محال الطعام الأمريكية التي يقبل عليها الجميع بِشكل لافِت ويَجبرُ الأطفالُ مِن أبناء الشرائح العليا أباءَهم عَلى الذهاب إليها، بينما يَعتبر الشعبيون زيارتها مِن طقوس

تنزيه النفس وعلامات الرفاهية..

أمّا مِن ناحِيَة السكن فلم يعد المصريون يبنون أحياء جديدة عَلى طريقة عمائر وسط البلد والزمالك وجاردن سيتي، التي كانَتْ أوروبية الطابع بامتياز، ولم تعد شرائحهم العليا تسكن سوى فِي "الكومباوند" الذي ليس سوى استنساخ للطريقة الأمريكية فِي السكن والمعمار، حتّى إن بعض "الكومباوندز" المِصرِيّة ليست سوى امتدادًا لنظيرتها الأمريكية بنفس الاسم الأجنبي وبنفس طريقة التصميم.

وليس خافيًا أن مَا حدث فِي مجال الطعام والسكن وطرائق الحياة المختلفة حدث عَلى نطاق أوسع فِي عوالم الاقتصاد والبيزنس التي بدت أكثر تأثرًا أو أكثر وضوحًا فِي التأثر.

لم يكن الدِّين أيْضًا بَعِيدًا عن التأثر بأنماط الحياة الأمريكية التي غزت كل المجالات، وكان الدُّعَاة الجُدُد هم التعبير الرئيس عن الغزو الأمريكي لطريقة تديُّن المصريين.

كَانَ الدُّعَاة الجُدُد تأثرًا واضحًا وترجمة محلية لظاهرة مبشري التليفزيون الأمريكيين.. وفي رواية أخْرَى كانوا أسلمة لظاهرة (كنائس الهواء) التي عرفها الناس فِي أمريكا.. وواجهت رفضًا مِن أغلبية الكنائس المسيحية..

لم يكن مبشري التليفزيون الأمريكيون سوى مجموعة مِن الذين وجدوا أن

ثقة الناس فيهم هي الطريق المَلكي لجمع ثروات تقدّر بمليارات الدولارات، وكان ذَلِك مِن خلال بيع بضاعة واحدة يدمنها البسطاء فِي كل مكَانَ وهي الدين.

كانَتْ ظاهِرَة كنائس الهواء بنتًا شرعية لظهور محطات التليفزيون الأمريكي فِي بِدَايَات الخمسينيات وظهور خمس شبكات تليفزيونية كبرى تتنافس فيما بينها عَلى جلب الإعلانات وعلى جذب المشاهد، وسرعان مَا أدركت هَذه المحطـات أن البرامج الدّينيّة هي أَحَد رهاناتها الناجحة فِي سـباق جذب المشاهدين فتنافست فِي تقديم أولئك القساوسة والمبشرين الذين يستطيعون جلب المشاهدين.

ولم يكن الأمْر يخلو مِن دافع سياسي؛ حَيْث أراد بعض مالكي القنوات أن يستفيدوا مِن شعبية هَؤُلاء القساوسة فِي مواجهة المد الشيوعي، وعلى الأقل فإن هَذا مَا حدث مع "بيلي جراهام" أول مبشري التليفزيون وأكثرهم تأثيرًا.. لقد كَان هَذا الرجُل المولود مُنْذ قرن كامل مجرد داعية محلي فِي إحدى المقاطعات لولا أن مالكًا لشـبكة إعلامية كبرى قرر أن يتبنّاه، لقد استمع الرجُـل لمحاضرة ألقاها "جراهام" فِي زيـارة لمدينة لوس أنجلوس فانبهر به، وأبرق إلَى مديري شبكته الإعلامية قائلا (انفخوا هَذا الرجُل)، وكان المقصود هو المبالغة فِي إظهار أفكار "بيلي جراهام" وإلقاء الضوء عليها.

لقد عاش "بيلي جراهام" قرنًا كاملا، وكان مستشـارًا روحيّا لخمسـة

رؤساء أمريكيين، وتأثر بعظاته مَا يزيد على 2مليار شخص حول العالم، ولم يكن فِي أي وقت محطا لاتهامات بالفساد المالى ومع ذَلِك فَقَدْ فتح ظهوره البـاب للعشرات مِن مبشري الهواء الذين ارتكبـوا جرائم مالية وحوّلوا الدِّين إلَى سلّم يصعدون عَلَيْه نحو مزيد مِن الملايين والمليارات..

لقد أدى نجاح "بيلي جراهام" فِي بداية الخمسينيات إلَى ظهور عشرات مِن مبشري الهواء فِي أجيال متعاقبة، وكان جمع التبرعات مِن الجمهور هو السمة الأساسية لِهَذه البرامج الدّينيّة التي حملت اسم (كنائس الهواء).

لقد ارتبطت هَذه الظاهِرَة بالثـروات التي يجنيها مقدمو هَذه البرامج أكثـر مِن أي شيء آخر، وكان للظاهرة بُعدها الفلسـفي قبل أن يكون لها أي بُعْدٍ آخر.

health and wealth!

كَانَ هَذا البُعد الفَلسفي يُعبّر عن نفسه فِي سيطرة فِكْرَة (إنجيل الرخاء) على مبشري الهواء هؤلاء، وليس المقصود بالإنجيل هنا هو الكتاب المقدس ذاته، ولكن المقصود منه فِكْرَة معينة أو تفسير معين لهذا الإنجيل، وكانَتْ هَذه الفِكْرَة تقول ببسـاطة إن الله يريد مِن الإنْسَان أن يكون سعيدًا أو أنّه خلقه لكي يكون سـعيدًا وليس مِن أجل أن يشـقى فِي الأرض.. وكانَتْ

الفِكْرَة تقول أيْضًا إن الصحة والثروة هما مكافأة الله لعباده المتقين.

ولم يكن ذَلِك بَعِيدًا جدّا عمّا قاله الدُّعَاة الجُدُد لجمهورهم في مصر بَعْدَ عدّة عقود؛ حَيْث وقف عمرو خالد ليقول للناس إن المسلم الغني يخدم الإسلام أكثر مما يفعل أي مسلم آخر، بينما كَان داعية مثل خالد الجندي بقيض في تعداد فضل الصحابة الأثرياء عَلى الإسلام والمسلمين.. كَان هناك تأثير كبير لفِكْرَة إنجيل الرخاء التي تمت أسلمتها عَلى أفكار الدُّعَاة الجُدُد وعلى مجمل الظاهِرة التي عبّروا عنها.

كَانَ البُعد الفلسفي للفِكْرَة يَقُول إن الثروة والصحة هي إحدى علامات رضا الله عَلى عباده الصالحين، وإن العبد إذَا كَان فقيرًا أو معتل الصحة فليس معنى هَذا سوى أنّه بعيد عن الله، ولا يؤدي فروضه الدّينيّة عَلى النحو الواجب.. وبما أن الفقر كَان إحدى علامات الابتعاد عن الله فَقَدْ كَان الغنى والثروة هو إحدى علامات القُرب مِن الله.

أمّا والحال كذلك فَقَدْ كَان مِن الطبيعي أن يسعى المبشرون ومقدمو برامج الهواء لحيازة أكبر قَدر مِن الثروة التي هي دليل عَلى رضا الله عن العبد مِن وجهة نظرهم.. إن مِن الإنصاف أن نقول إن مبشري الهواء ارتكبوا العديد مِن التجاوزات التي تجنبها الدُّعَاة الجُدُد فِي مصر.

لكن الفِكْرَة الأساسية حول الثروة واعتبارها دليلا عَلى رضا الله ظَلَّتْ

حاكمة ومسيطرة ولولا هَذا لَمْ نَرَ الدُّعَاة المِصْرِيّين وقَدْ تحوّلوا إلَى مليونيرات كبار تتحدث عنهم مجلة "فوربس" وتحصي ثرواتهم، وتطير الأخبار حول القصور التي يسكنون فِيهَا والملايين التي يحصدونها كنتيجة مباشرة لعملهم فِي الدّعوة..

لم يحـدث هَـذا مع داعية واحـد.. حدث مع كثيرين ظهـروا فِي وقت متقارب وشـكلوا تيارًا وظاهرة مشـابهة لتلك التي شكلها مبشرو الهواء فِي أمريكا.

لقد ظَهَرَ مبشرو الهواء الأمريكيون فِي الخمسينيات والعقود التي تلتها كانعكاس واضح لظهور قنوات تليفزيون الكابل المُتعدّدة والمتنافسـة فِي أمريكا.

وفي مـصر كَان عَلى الظاهِرة أن تنتظر تحرير مِلكية قنوات التليفزيون، وظهور القنوات الخاصة مع بِدَايَات القَرْن الحالى كي تنتشر.

إن أحَد أوجه التشـابه بَيْنَ الدُّعَاة الجُـدُد فِي مصر وبين مبشري الهواء فِي أمريكا أن كليهما لا يتبع مؤسسـة دينية معينة، فَفِي مصر لا يتبع هَؤُلاء الدُّعَـاة الأزهر أو الأوقـاف، ولا جِهَةٍ معينة، وفِي أمريـكا فإن هَؤُلاء لا يتبعون كنيسة بعينها أو مجلسًا إنجيليّا بذاته.

وكَان مِـن نتائـج هَذا أن جِهَـةً معينة لا يمكن أن تحاسـبهم ماليّا عَلى

التبرعات التي يجمعونها مِن المشـاهدين والتـي غالبًا مَا تتحول إلَى أرقام فِي حساباتهم البنكية.

لقد أُجرِي استبيان بَيْن عدد مِن أشهر هَؤُلاء المبشرين فِي عام 2010م، وقَالَـتْ النتائج أن واحدًا فقط مِن بَيْنَ 17 يقدمون هَذا النوع مِن البرامج يخضع للرقابة المالية.

وفي الوقت الذي تكفل فِيه سطوة وسائل الإعلام فِي أمريكا حق المعرفة؛ فإننا لا نعرف عن ثروات الدُّعَاة لدينا وعلاقتهم بالمتبرعين سـوى النذر اليسـير، وفِي أمريكا مثلا فإن مبشرًا مثـل "جيسي دوبلانتس" قام بحملة لجمع التبرعات مِن مشـاهديه حتّى يشتري طائرة خاصة، ومبرره هنا أنّه يسـتخدم الطائره فِي القيـام بمهام دينيه فِي افريقيا وانـه لا يمكن لمن كَان مثله أن يسـتخدم طائرة ركاب عادية.. وكانَـتْ المفارقة أن "دوبلانتس" نفسـه يمتلك بالفعل ثلاث طائرات خاصة، ولكنه أخبر مشاهديه أن الله طلب منه شراء الطائرة الرابعة.. وكانَتْ المفاجأة أن الصحافة تقدر ثروته الخاصه بـ40مليون دولار.

أمّا "كينيث كوبلاند" فقد قَالَتْ الصحافة هناك إنّه يدير مؤسسة تتبعها خمس طائرات ثمـن الواحدة مِنْها 17مليون دولار أو يزيد، وقَدْ ظَهَرَ مع زميله "جيسي دوبلانتس" ليدافعا عن امتلاكهما للطائرات الخاصة، وقال

لمشاهديه إن المسيح لو كَان يعيش بيننا اليوم فلم يكن ليركب حماره الشهير، ولكنه كَان سيركب طائرة خاصة!

على أن الأمْرَ لَمْ يتوقف عند حد انتقاد الصحافة لمظاهر الثراء المبالغ فيه، ولكنه امتد ليشمل جرائم نَصب قام بها بعض هؤلاء، مثل "جيمس بيكر" الذي حُوكم بتهمة النصب عَلى المتبرعين وحصل عَلى أحكام بالسجن لمدة 45عامًا خففت فيما بَعد إلَى ثماني سنوات قضاها وخَرَجَ ليعود إلَى وعظ المشاهدين عبْر قناته التليفزيونية الخاصة.

إننا لا يمكن أن نفهم حجم ظاهرة مبشري الهواء، إلا إذَا علمنا أن متوسط دخل رَجُل الدِّين العادي فِي أمريكا هو مِن عشرين إلَى ثلاثين ألف دولار سنويّا، وإذَا انتقلنا إلَى واقعنا المصري سَنَجِدُ أن واعظا ازهريّا فِي وزارة الأوقاف المِصرِيّة لا يحصل سوى عَلى عدّة مئات مِن الجنيهات كراتب رسمي.. وفِي الحالتين فإن وعاظ ومبشري الهواء يملكون الملايين، بل وعشرات الملايين مِن تبرعات الميريدين والمشاهدين.

أوجـه التشابـه

إذا دققت النظر ستجد أن التشابُه بَيْنَ الدُّعاة المِصرِيّين ومبشري الهواء الأمريكيـين لا يتوقف فقط عَلى مضمون مَا يرددونه والذي يدور فِي كلتا الحالتين حول "إنجيل الرخاء"،الذي تمت أسلمته والبحث عن معانٍ إسلامية شبيهة له، ولم يقتصر الأمْرُ أيْضًا عَلى الثراء الذي تمتع به الدُّعَاة الجُدُد،ولا أسلوب حياتهم، ولا اعتمادهم عَلى تبرعات الجمهور ورجال الأعمال التي كانَتْ تُدفَع بِشكل عام لنصرة الدِّين أو لتلبية احتياجات البسطاء، أو لدفع فاتورة بعض الحالات الإنْسَانية... إذا شئنا الدقة فنحن أمام حالة استنساخ وتقليـد مِن الدُّعاة الجُدُد لمبشري الهواء الأمريكيين، أو رُبّما هي حالة تأثر واقتباس أتاحتها العولمة وثورة الاتصالات.

المرشد الروحي للرؤساء

لو جئنا لـ"بيلي جراهام" أشهر مبشري الهواء، وأكثرهم شهرة؛ سَنَجِد أن رحلته فِيهَـا محطات عديدة، توقفنا أمامها فِي الفصل الأول التمهيدي لهذا الكِتاب، لكن إحدى أهَمِّ وظائفه كانَتْ عمله مرشدًا روحيّا لخمسة مِن الرؤسـاء الأمريكيين، ليس هَذا فقط لكن سـيرته تتحدث عن إنقاذه لـ"جـورج بوش" الثاني مِـن الضياع الأخلاقي؛ حَيْث كَان شـابّا مدللا،

عَرف الطريق للمخدرات ولعادات أخْرَى كَان مِن شـأنها أن تقضي عَلى مستقبله كابن لعائلة سياسية عريقة.. وبفضل "بيلي جراهام" تغيرت حياة "جورج بوش" الابن.. عرف طريقه إلَى الجدية والاستقامة، ثُمَّ صار رئيسًا للولايات المتحدة الأمريكية.

إن هَذه القصة تتشابه إلَى حد التطابق مع قصة أخْرَى لَمْ تكتمل تحدثتْ عنها مجتمعات القاهرة عام 2004م، كَان بطل القصة الدَّاعِيَة الصاعد وقتها عمرو خالد، الذي قَالَتْ الشائعات إنّه استطاع التأثير فِي حياة نجل الرئيس المصري وزوجته، وإن هَذا التأثير قاد الزوجة لارتداء الحجاب، وإن تدخُّلًا مَـا مِن الأسرة حَدَّ مِن هَذه العلاقة.. وقيل إنّه كَان أحَد أسْـباب مغادرة عمـرو خالد للقاهرة.. أيًّا كَان لقـد زال هَذا التأثير سريعًا مثلما زال تأثير عمرو خالد عن عشرات الآلاف اللاتي تأثرن به وقت ظهوره، لكن التشابه بَيْنَ الدَّوْر الذي لعبه "بيلي جراهام"، والدور الذي سعى عمرو خالد للعبه لا يمكن إغفاله.

الطموح السياسي

القدرة عَلى التأثير تُولّد الطموح السياسي.. هَذا هو مَا يُمْكِن استخلاصه مِن سيرة بعض مبشري الهواء، وكذلك مِن سيرة بعض الدُّعَاة الجُدُد.

في أمريكا كَان "بات روبنسون" هو أكثرهم اقترابًا مِن السياسة؛ حَيْث خـاض الانتخابات الداخلية فِي الحزب الجمهوري، كَان عَلى وَشَـك أن يصبح مرشح الحزب فِي 1988م، كَان ذَلِك ناتجًا بالأساس عن انتمائه لأسرة سياسية، إذ كَان والدُه عضوًا فِي مجلس الشيوخ الأمريكي.

لقد أسَّـسَ "بات روبرتسون" وكالة البث المسـيحية، وأسّسَ جامعة بالاسم نفسه وتحوَّل إلَى إمبراطورية ضخمة، ورُغم أنّه لَمْ يَفُز بترشيح الحزب الجمهوري؛ فإنه استفاد مِن الزخم الذي أحدثه ترشيحه وأصبحت آراؤه الحادة والمُتطرفة أحَدَ الأصوات المؤثرة فِي السِّياسة الأمريكية.

إن هَذا يُذكرنا بالطموح السـياسي لَدَى داعية مثل عمرو خالد طرح نفسه كبديل سياسي وأسّس حزبًا يسعى للهدف نفسه لولا أن كَان لثورة 30يونيو رأي آخر.

التنمية البشرية للجميع

من أوجـه التأثر الكبـيرة أيْضًا اقتبـاس الدُّعَاة الجُـدُد لمناهج التنمية البشرية، وسـعي بعضهم إلَى أن يطرح نفسـه كمؤلف لروايات أو لكُتُب تنمية بشرية..

إن هَذا نفسـه هو مَا فعله قبل هَذا بسـنوات "جويل أوستين"، وهو لَمْ يكتـفِ بكونه نجمًا لبرامج الهـواء ولكنه ألّفَ أكثر كتُـب التنمية البشرية مبيعًـا فِي تاريخ أمريكا، فَفِي 2007م أطلق "أوسـتين" كتابه الثاني "اجعل مِن نفسِك أفضل..7مفاتيح لتحسين حياتك فِي كل يوم"، الذي تصدّرت مبيعاته قائمة الـ"نيويورك تايمز" لأكثر الكتُب مبيعًا، إذ باعت طبعته الأولى 4 ملايين نسخة.

لقد واجَه "جويل أوستين" اتهامات شبيهة بالتي واجهها بعض الدُّعَاة هنا.. مثل إنّه لَا يعتمد عَلى الكتاب المقدس كثيرًا فِي عظاته وكان ردُّه "إنني أحاول أن أعَلّمَ الناسَ كيف يعيشون حياتهم اليومية".

تقوم فِكْرَة "جويل أوستين" عَلى خلط المبادئ الدّينيّة مع مبادئ التنمية البشرية، وهو رُبَّما يكون الأكثر تأثيرًا فِي داعية مثل عمرو خالد.

الانكشاف

ونحن نتحدث عن ظاهِرَة مبشري الهواء فِي أمريكا، وعن الدُّعَاة الجُدُد لدينا؛ يَجِب أن نُدرك أننا نتحدث عن مَرْحَلَة دخلت طور الأفول.. نتحدث عن ظهور ساطع.. وانتشار كبير، ثُمَّ عن انكشاف أو تراجع.. في أمريكا كانَتْ الثمانينيات والتسعينيات وبعض سنوات بداية الألفية هي سنوات الازدهار.. وفي مصر وصلت الموجة متأخرة بعض الشيء، وعرفت سنوات المَد، لكنها الآن بِكُلِّ تَأكِيد فِي سنوات الجَزْر.

في أمريكا تعالت أصوات مِن داخل الكنائس الإنجيلية بالرفض، كَان مِن أهمها القس "ماك أرثر" الذي كتب سلسلة مقالات يهاجم فِيهَا مبشري الهواء، وقال فِي إحدها.. "يجب عَلى المرء أن يَقُول هَذا بصراحة.. إن المعالجين بالإيمان والواعظين فِي مجال الصحة والثروة، ممن يظهرون فِي القنوات الدّينيّة هُمْ محتالون.. رسالتهم ليست الإنجيل الحَقِيقِي ليسوع المسيح.. لا يوجد شيء روحي أو معجزة، بل يخدعون اليائسين لستفيدوا مِن ضعفهم، هُمْ ليسوا إلهيّين لكنهم محتالون جشعون يفسدون كلمة الله مِن أجل المَال، إنهم ليسوا قساوسة حَقِيقِيين يرعون عباد الله، لكنهم يمارسون حيلهم للابتزاز.. إن حبهم للمال واضح فِيمَا يقولونه وكذلك كيف يعيشـون، يدّعون أنهم يمتلكون قوة روحية عظيمة، لكنهم فِي الواقع ماديون)..

انتهى الاقتباس مِن مقال "ماك أرثر".. والحقيقة أننا يُمْكِن أن نُطلق كل مَا

أطلقه مِن أوصاف عَلى الدُّعَاة الجُدُد فِي مصر، الذين أثبتت الأيام والأحداث أنهم لا يختلفون إطلاقًا عن مبشري كنائس الهواء فِي أي شيء.

أمّا الكاتبة "إليشيا سوزت" فقد فضّلتْ أن تتحدث عن أمثلة واضحة حَيْث قَالَتْ (لا أرى أي واعظ تليفزيوني أمينًا، الهدف مِن رسالتهم كَسْبُ المَـال فقط، لقد كنتُ أقوم بإجراء بحـث مِن أجل كتاب أخطط لكتابته، وشاهدتُ العديد مِن هَذه البرامج.. وهَذه بعض ملاحظاتي..

عندما ألقي نظرة عَلى ("جويل أوستين)وعيناه الرقيقتان، أرى الخِداع، أنظر إليه ولكنيسته وأتساءل كيف جمع ملايين الدولارات لبنائها؛ خصوصًا أنّه أكد عدم حصوله عَلى قروض.

أمّا كينيث كوبلاند فَقَدْ خدع متابعيه حين قال إن قراءة الكتاب المقدس تجعله قادرًا عَلى سداد الديون!

وفي إحدى الحلقات ناقش "كوبلاند" مع ضيفه الواعظ "جيسي دوبلانتس" كيف أن إرسال التبرعات لكنيسة كوبلاند يساعد الناس عَلى البقاء بَعِيدًا عن الديون!، وكيف أنك إذَا لَمْ تفعل ذَلِك فأنت لَمْ تؤمن حقّا!

أمّا الكاتبة "جنيفير سي مارتن" فَقَدْ التقطت نكتة وهي تتابع أحَد هَؤُلاء المبشريـن.. لقد قال الرجُل لجمهوره إنّه سـيتحدث عن وعاظ إنجيليين

هدفهـم الوحيد هو طلب الأموال مِن المرضى والفقراء، واليائسـين، مِن أجل وضعها فِي جيوبهم الخاصة وشراء احتياجاتهم مِن قصور، وطائرات، وسـيارات... أمّا النكتة فكانَتْ أن الرجُل نفسـه واسمه "جون أوليفر" طلب تبرعات مِن الجمهور لمسـاعدته فِي بناء كنيسته الجديدة، مما يساعد عَلى علاج أمراض الناس.

تقـول جينيفر (يتبـع هَؤُلاء المبـشرون نموذج إنجيـل الرخاء، الذي يعتقـدون فِيه أن الثـروة علامة عَلى رضاء الله عنهم، وذَلِك ببسـاطة مِن خلال الدعـاء مِن أجل المال، بالإضافة إلَى التـبرع بمبالغ كبيرة مِن المَال مِن مختلف الكنائس).

وتواصل..(غالبيـة ضحايا عقيدة الرخاء الضـارة مِن الطبَقَة العاملة والطبقة الفقيرة، فهم يرون فِي لاهوت الرخاء أمرًا خارقًا للطبيعة، وهذا ليس صادمًا؛ خصوصًا أن 61 ٪ منهم يلعبون اليانصيب).

معز مسعود: داعية لَا يرغب أن يكون كذلك!

قـال إنّه يحب ألّا يكون داعية.. ويُفضل أن يُسـمي نفسـه "باحث فِي الإلهيات"

حالـة التجريف الثقافي أدت لأن يرث الدُّعَـاة أدوار المثقفين.. ومعز مسعود نموذج مثالي..

ذاتيته الشـديدة منعته مِن الانضمام للإخوان.. وليس صحيحًا أنّه لا يربح مِن برامجه..

ليس عاطفيًا مثل عمرو خالد ويحاول أن يقدم وجهًا عقلانيًا وليبراليًا

للدين.. سيتحول مِن داعية إسلامي إلَى منتج فني للأعمال المحافظة وسيقود لوبي محافظ فِي الفن المصري.

لفت الاهتمام الكبير بأخبار الدُّعَاة الجُدُد ومنهم الدَّاعِيَة معز مسعود الأنظار بشدة للدور الذي بات هَؤُلاء الدُّعَاة يلعبونه فِي حياة المصريين، ولاختلاف الدَّوْر الذي بات هَؤُلاء الدُّعَاة يلعبونه فِي حياة المصريين، عن ذَلِك الدَّوْر الذي كَان يحتله رجال الدِّين القدامى فِي عصر مَا قبل ثورة الاتصالات والسوشيال ميديا، كما يلفت النظر إلَى الاختلاف فِي تكوين هَؤُلاء الدعاة، وطبيعة الأدوار التي باتوا يلعبونها، ويلفت النظر أيْضًا إلَى تأثرهم بأنماط الوعظ الأمريكي "البُروتستانتي".. وغير ذَلِك مِن السّمات التي باتت تميزهم عن غيرهم، وتحتوي السطور التالية عَلى فصل مِن كِتاب "الوعظ عَلى الطريقة الأمريكية"، وهو بمثابة جزء ثان لكتاب "ظاهرة الدّعاة الجُدُد" الذي حاول استجلاء ظاهرة الدُّعَاة الجُدُد مِن جوانبها المختلفة.

(التأمل فِي مسار الدَّاعِيَة معز مسعود، كواحد مِن أبرز أبناء الجيل الثاني أو الثالث مِن الدُّعَاة الجُدُد يكشف عن تِلكَ الحالة التي تضيع فِيهَا الخطوط الفاصلة بَيْنَ الداعية، والإعلامي، والنجم الجماهيري، والمنتج الفني، والناشط السياسي إن استدعى الأمْر أو سمحت الحال.. وإذَا شئنا مزيدًا مِن الدقة فإن معز مسعود تحديدًا هو الحالة الأبرز لوراثة الدَّاعِيَة لدور

المثقـف الحديث فِي المُجْتَمَع المـصري فِي اللحظة الراهنة؛ حَيْث تراجعت مكانـة المثقفين، ودرجات قبولهم لَدَى الرأي العام، وورث الدُّعَاة الجُدُد ذلك الدَّوْر المنوط به توجيه الجماهير، وصياغة وعيهم تجاه القضايا المختلفة، وبالرحيل المتتالى لمثقفي جيل الستينيات الذين امتلكوا وعيًا ووعيًا مضادّا مرتبطا بالدولة المِصرِيّة مُعارضة وتأييدًا.. انتهت مَرْحَلَة المثقف القادر عَلى مخاطبة الجماهير وصياغة وعيه تجاه القضايا المختلفة.

ومع انتشار وسائل الاتصال الحديثة ومنصات التواصل الاجتماعي، والانفتاح عَلى العالم؛ سَنَجِدُ أن الدُّعَاة الجُدُد، ومعز مسعود تحديدًا، صار راغبًا وقادرًا عَلى صياغة وعي جمهوره مِن الشّـباب تجاه قضايا مختلفة من "المثليهة الجنسية" إلى "اختيار شريك الحياة"، ومن علاقة الإنْسَان بالشيطان، إلَى وجود الإله ذاته ودوره فِي الكون..

وليـس غريبا ان يعلن في لقاء تلفزيوني اخـير له مع الاعلامي خيري رموليـس غريبًا أن يُعلن فِي لقـاء تليفزيوني أخير له مع الإعلامي خيري رمضـان أنّـه لَمْ يعد يرغب أن يطلـق عَلَيْه لفظ داعية، وأنـه بات يرى أن اللفظ صار يحمل مِن الإساءة أكثر مما يحمل مِن التقدير، أو أنّه بات يتسع لأشْـخاص لَا يحظون بالتقدير الكافي، وهو يفضل بدلا مِن هَذا أن تطلق عَلَيْه صفة "باحث فِي الإلهيات"؛ حَيْث التحق بالدراسات العليا فِي جامعة "كمبردج"،وأعلن أنّه يبدأ مَرْحَلَة جديدة فِي حياته تحوّل فِيهَا مِن داعية

يشرح للمسلمين دقائق دينهم، أو حتّى موقف الدِّين مِن القضايا الاجْتماعيّة المختلفة إلَى محارب للإلحاد بِشكل عام، وهي كما نرى قضية عمومية يُمْكِن أن يشترك فِيهَا مع عباس محمود العقاد أيضًا، وهي بلا شَك تمنحه مساحهة إضافية للحركة، وتوسع مِن إطار ما هو مشترك بينه وبين التيار الرئيسي والسائد فِي مصر، إذْ لَا أحَد يكره محاربة الإلحاد بدءًا مِن أجهزة الدّولة الأمنية، وليس انتهاءً بالأزهر، ولا حتّى الكنيسة.

إنه فِي هَذه المرحلة الجَديدة يقطع أي احتمال للشك، ولو بنسبة ضئيلة حول علاقته بمشروع الإسلام السياسي أو الإسلام الحركي، وينطلق إلَى آفاق أوسع سبقه إليها عدد مِن كبار الوعاظ الأمريكيين أو "وعاظ التليفزيون" الذين اختاروا قضايا مثل إثبات وجود الإله، كطريق لقلوب ملايين المريدين وملايين التبرعات أيضًا.. إن هَذه القضية تبدو مناسبة أكثر لمجتمع مثل المُجْتَمَع الأمريكي كَان فِي لحظة مِن اللحظات يخشى مِن انتشار الشيوعية، ويرى أن مَا يميزه عن الاتحاد السوفيتي، ويكفل لأمريكا الانتصار هو أن الأمريكيين شعب يعرف الله ويذهب إلَى الكَنيسة كل يوم احد.

ورُغم أن أحَدًا لَمْ يقل إن انتشار الإلحاد بات خطرًا يهدد المُجْتَمَع المصري، الذي يشكو مِن ازدياد معدلات التَّدَيُّن الشكلي، والكاذب أكثر مِن أي شيء آخر؛ فإن معز مسعود قرر أن يوجّه جهودًا للبحث فِي قضية وجود الإله بِشكل

فلسفي، وهو نظم عقب عودته مِن إحدى سفرياته لانجلترا محاضرة حضرها ألـف مِن رموز المُجْتَمَع والفنانـين وحاضرهم حول فِكْرَة وجود الإله، كما أطلعهم على مناظرة جرت بينه وبين الفيلسوف "تشارلز دوكينز"، الأستاذ بجامعة أكسفورد، وهو أحد أشهر العلماء المؤمنين بنظرية التطور.

معز مسـعود هو الأكثر تأثـرًا بنمط الوعظ البروتسـتانتي بَيْنَ الدّعاة الجُدُد، ولا يقتصر هَذا عَلى المشتركات التي تجمع بَيْنَ الدعاة الجُدُد بِشكل عام وبين الوعاظ البُروتسـتانت مِن حَيْث استخدامهم لنفس اللُّغَة التي يتحدثهـا الجمهـور فِي الوعظ، وارتدائهم لنفس الملابـس، والتركيز عَلى الفِكْـرَة التي تقول إن الناس لا يدخلون الجنة بأعمالهم بقدر مَا يدخلونها برحمة الله لهم..

بالإضافة إلَى هَذا فإن معز مسعود بحُكم دراسته، وانفتاحه عَلى الثَقَافَة الغربية، حتّى إنّه بدأ الوعظ أساسًـا بسلسلة دُرُوس فِي الولايات المتحدة الأمريكية، أعقبها ببرنامجين عن الإسلام باللُّغَة الإنجيليزية عَلى قناة "اقرأ".. تلاها تقديمه لبرامجه باللُّغة العربيّة، وأولها برنامج "الطريق الصح"، ولا شَـك أن ثقافته وانفتاحه عَلى نمط الوعظ الغـربي ولّدت لديه رغبة قوية فِي أن يخاطب عقول النـاس، وليس عواطفهم، وهو عَلى خلاف الدَّاعِيَة عمرو خالد الذي سـبقه فِي مضمار الوجود الزمني والتأثير.. فإن خِطاب معز مسعود لَا ينطوي عَلى جانب عاطفي، أو بكائي، كما أنّه حاول طوال

الوقـت تقديم وَجْه ليبرالي للإسـلام بقدر الإمـكان، فَفِي الحلقات التي قدّمها عن المِثلية الجنسية، حاول أن يُفرّق بَيْنَ فعل المثلية نفسه الذي يُحرّمه الإنْسَـان، وبين شـخص المِثلي الذي رآه أقرب إلَى الضحيـة، وهي نظرة تختلف عن النظرة السّـلَفيّة التّقليديّة التي ترى أنّه لا بُدَّ مِن قتل "الفاعل والمفعول" أو إلقائهما مِن ارتفاع شاهق كما فعل تنظيم "داعش" فِي المناطق التي كانَتْ تحت سيطرته.

وإذَا كَان التأثر الشـديد بالوعظ البُروتستانتي هو السِّمة الأولى، وإذَا كانَتْ الرغبة فِي صياغة خِطاب عقلاني غير عاطفي هي السّمة الثانية، فإن الإحساس الشديد بالنجومية الفردية، والرغبة فِي الحفاظ الدائم عليها هو السّـمة الثالثة، ولو تأملنا الطريقة التي روى بها معز مسعود كيف أصبح ملتزمًا دينيّا، سنرى أنها لَا تختلف إطلاقًا عمّا يرويه نجوم السينما مثل حنان ترك عن طريقة التزامهم،.. فهو فِي هَذه الرواية كَان طالبًا منفلتًا فِي الجامعة الأمريكية فِي نهاية التسـعينيّات لكن حـوادث موت متتالية لمجموعة مِن أصدقائه، فضلا عن جراحة كبيرة مَرَّ بها، تجعله يراجع نفسـه حول نمط الحياة الذي يعيشـه، وهي قصة لَا تختلف عن قصة التزام فنانة مثل حنان ترك التي غيرت حياتها عقب حادثة وفاة هزتها.. وستجد أن هَذه القصة تتكرر كثيرًا فِي حياة نجوم الفن وأبناء الطبَقات العليا الذين يغيّرون حياتهم تجاه الالتزام الدّينِي أو هَذا هو مَا يروونه للجمهور.

ولأنـه بدأ رحلته قُرب بداية الألفية الثانيـة، ولأنه جَبُلَ عَلى الفردية، فهـو عَلى عكس عمرو خالـد لَمْ يبدأ عضوًا فِي جماعة، ذَلِك أن وعيه العام بـدأ فِي التشـكل بَعْدَ مرور مَا يقـرب مِن عشرين عامًا عَـلى تولي الرئيس مبـارك الحُكم؛ حَيْث بات واضحًا أنّه بـاقٍ فِي مقعده، وأن نصيب جماعة الإخوان مِن السُّلطة السياسية بات محددًا فِي المقاعد التي تحصل عليها فِي مجلس النواب، وفِي المكاسب الاقتصادية التي يجنيها رجال الأعْمَال الذين يستثمرون أموالها.. وهي مَرْحَلَة مختلفة عن منتصف الثمانينيات التي التحق فِيهَا عمرو خالد بالجماعة، ولم تكن قَدْ مضت غير سنوات قليلة عَلى اغتيال الرئيس السـادات بأيدي إسـلاميين، وكانَتْ مِصر كلها عَلى موعد مع مَا سُمي وقتها بـ"الصحوة الإسلامية".

معز مسعود هو ابن جيل مختلف، وحساسية مختلفة، وهو ابن "الإيمان الفـردي" الذي عبر طريقه فِي مصر عمرو خالد الخارج مِن رحم التنظيم إلَى براح النجومية، والثروة، والتأثير الواسع.

لذلك لَمْ يكن غريبًا أن يروي معز مسعود فِي برنامج تليفزيوني كيف أنّه رفض عرضًا بالانضمام لجماعة الإخوان عقب التزامه الديني؛ حَيْث خَلق الإخواني الراغب فِي استقطابه جوّا دراميّا وانتحى به بَعْدَ صلاة الفجر فِي لحظـة مؤثرة، ليخبره أن الإخوان هُمْ العصبة المؤمنة، وأن عليه الانضمام لهم، ليراوغ معز مسـعود قائلا إنّه يريد وقتًا يجري فِيه صلاة الاستخارة،

ليندهش محدثه ويخبره أن الانضمام للإخوان أمْرٌ لَا يحتمل الاستخارة.. ينهي معز مسعود حديثه بالقول بأنه رفض لثلاثة أسْباب أولها أنّه كَان لديه عقل مختلف، وثانيها أن فطرته رفضت الجماعة، وثالثها أنّه كَان لديه "نفور اجتماعي" من أعْضَاء الجماعة، وهي مسألة يُمْكِن فهمها إذَا عرفنا أن كل الدُّعَاة النجوم بدءًا مِن الغزإلى حتى عمرو خالد فارقوا الجماعة بَعْدَ بداية مشوارهم مع النجومية، فما بالنا والجماعة ترغب فِي ضم بطل قصتنا وقَدْ تحققت نجوميته أو تكاد.

من الدعوة إلى الإنتاج الفني..

كما أسلفنا مِن قبل فإنه فِي حالة الدُّعاة الجُدُد، لا يمكن فصل الدّعوة عن التليفزيون؛ حَيْث إن نمط الوعظ أصلا قائم عَلى وجود برنامج تليفزيوني مِن الأساس، وهو هنا مرتبط أيْضًا بفِكرة جَنْي الأرباح مقابل تقديم المنتج الدّيني، وهي سِمة أساسية مِن سِمَات الدّعوة الجديدة؛ حَيْث ينتفي البُعد الرسالي لعمل الداعية، ويحل محله البُعد التجاري والذي يمكنه مِن جَنْي الأرباح مقابل البضاعة الدّينيّة التي يقدمها.. وإذَا شئنا الدقة فإن هَذا البُعد الرسالي كَان مرتبطا أكثر بالتصورات الجهادية التي تهدف لتغيير العالم؛ حَيْث لا يرى المسلم الجهادي ضيرًا فِي تقديم التضحيات فِي سبيل تغيير العالم حتّى ولو بالعنف والإرهاب، كما أن هَذا التصور كَان موجودًا لَدَى جماعة الإخوان فِي صداماتها المختلفة مع الدّولة حتّى السبعينيات.. لكن

الدُعاة الجُدُد لم يطرحوا فِكْرَة تغيير العالم، ولكن طرحوا فِكْرة تغيير الأفراد لتصبح حياتهم أفضل.. انطلاقًا مِن أن الشخص الناجح مهنيّا ومادّيّا هو ذَلِك الشخص المتدين باعتدال، وهو ينجح بتوفيق إلهي، وبمزيج مِن الأخلاق، والمهارة المهنية، وهو تصور طرحته البُروتستانتيّة فيما طرحت مِن أفكار وقت ظهورها..

وإذَا عدنا إلَى معز مسعود فإن فِكْرَة إنتاج مسلسلات وبرامج ذات مضمون دعوي، ليست فِكْرة جديدة، وإن كانَتْ المرّة الأولى التي يتحول فِيهَا داعية إسلامي معروف إلَى منتج فني بِشكل مباشر ينتج أفلامًا سينمائية لَا تلتزم فِيهَا الممثلات بالحجاب، ولا تناقش موضوعات دينية مِن الأساس؛ حَيْث يُعلى فيلم "اشتباك" من قيمة المصير المشترك الذي يجمع الجميع، وقَدْ حظي الفيلم بمستوى فني متميز، وشارك فِي مهرجان "كان"، وحظي بضجة كبيرة، وهو نتاج شراكة مهنية وفكرية بَيْنَ معز مسعود، وبين "آل دياب"، وهي أسرة فنية مِن ثلاثة سينمائيين شباب، لَا يحرّمون الفن، لكنهم بالتَأكِيد ذوو ميول محافظة، وأخلاقية.. وقَدْ مَثل معز مسعود هَذا التيار فِي الفن المصري..وأنتج أغنية موسيقية فِي نفس الإِطار وغنى فيها، وأظن أن هَذا التيار سيتوسع فِي قادم الأيام.

الوعظ على طريقة حليف الشيطان!

لم يكن غريبًا والحال كذلك أن يستبدل معز مسعود الآيات والأحاديث القرآنيـة فِي خطابه بعبارات حوار وردت فِي أشْـهَر أفلام هوليوود، ذَلِك أن مضمون خطابه صار فلسفيّا وعامّا، وهو أقرب إلَى وراثه دَوْر المثقف اليسـاري القديم، لَكِنّه فِي حالتنا هَـذه مثقف يميني محافظ.. فَفِي برنامجه "خطوات الشـيطان" يتحدث معز مسـعود عن أن الشيطان هو وحش الاسْـتِهلاك الذي بات يبتلع حياتنا، ويستشـهد بعبارة وردت عَلى لسان النجم الهوليـوودي "إدوارد نورتون" في فيلم "نـادي القتال" حين يَقُول إننا نعمل فِي أعمال لَا نحبها، كي نشـتري أشـياء لَا نحتاجها.. وهذا بلا شَـك تطوُّر لافت فِي أسلوب داعية لايزال الجمهور العادي يستقبله عَلى أنّه داعية إسلامي تقليدي.

الارتباط بالمُجْتَمَع الفني وبمجتمع المشـاهير عبّر عن نفسـه فِي أخبار الزيجات المتتالية للداعية معز مسـعود، والاهتـمام المبالغ فِيه مِن منصات التواصل الاجتماعي بالخـبر، والذي مَثل صدمة لِلجُمْهورِ التقليدي غير المتابـع للتطورات التي يمر بها الداعية؛ حَيْث أعلن زواجه مِن بطلة آخر مسلسل أنتجه فِي سطر فِي بيان يتحدث عن جزء ثانٍ مِن المسلسل.. لتنطلق حِمم مِن الهجوم عليه، وهي أولًا تعبير عن الإحساس بالصدمة مِن جمهور تقليـدي صدمه أن يتزوج داعية مِن فنانة سـينمائية غير محجبة، وهي ثانيًا

تعبير عن زيادة الوعي النقدي الذي بات الجمهور يتعامل به مع الدُّعَاة الجُدُد، فيما بَعْدَ ثورتَي يناير ثُمَّ يونيو، وفيما بَعْدَ ثورة وسائل التواصل الاجتماعي؛ حَيْث كَان انتقاد الدُّعَاة فِي بداية ظهورهم أمرًا مثيرًا لغضب الأغلبية الكاسحة مِن الجمهور، الذي كَان يعتبر الهجوم عَلى سلوكيات بعض الدُّعَاة بمثابة هجوم عَلى الدِّين نفسه، وهو أمْرٌ لم يعد موجودًا الآن بِكُلِّ تَأكِيد.

إزاء هَذا الغضب الجماهيري العارم، الذي صاحبته اتهامات للداعية بالتناقض مصحوبة بمقطع مِن برنامج قديم له يصف مِن يتزوج فتاة غير محجبة بأنه دَيّوث، وإزاء إحساسه بنفسه كنجم جماهيري للملايين مِن الشّباب فِي مصر، لَمْ يملك معز مسعود سوى أن يصدر بيانًا يوضح فِيه لجماهيره عددًا مِن النقاط الخاصة بحياته الشخصية.. منها أنّه اضطر لمغادرة مصر بَعْدَ ثورة 30يونيو بَعْدَ أن وصلته تهديدات مثلت خطرًا عَلى حياته، ومنها أنّه كَان أول مِن تنبأ بإرهاصات تحوّل الإخوان للإرهاب فِي مسلسله "خطوات الشيطان"، كَان هَذا فِي حد ذاته كاشفًا عن مواءمات سياسية أجراها معز مسعود حتّى يظل محتفظا بمساحات التأثير والربح التي حصل عليها فِي المُجْتَمَع المصري، وكان مِن بَيْنَ النقاط التي ذكرها أنّه ينتمي لأسرة ميسورة وأنه لا يحصل عَلى مقابل مادي للبرامج التي يقدمها، وهي نقطة فِي حاجة لمراجعة؛ حَيْث يختلف تقديمه للبرامج عن إنتاجه

للمسلسلات بهدف التصدي للإرهاب بالمشاركة مع تليفزيون خليجي مثل تليفزيون أبوظبي.

أمّا أهَمّ مَا فِي البيان فهو تبريره لإقدامه عَلى الزواج مِن فنانة غير محجبة، انطلاقًا مِن إيمانه بأن صلاح العقيدة يفوق أهمية العبادات مِن وجهة نظره، وأنه يؤمن بفِكْرَة "الإيمان المتدرج"، وهي فِكْرَة أساسية لَدَى الدُّعاة الجُدُد، وكانَتْ سببًا فِي محاولة لاغتيال الدَّاعِيَة ياسين رشدي عام 1997م فِي الإسكندرية؛ حَيْث لَا يقبلها السلفيون والمتشددون فِي الدين.

لا يشي بيان معز مسعود بِأَيّ تشدد فكري، ويبدو منطقيّا فِي كثير مِن جوانبه، لَكِنّه لَمْ يسهم كثيرًا فِي ترضية جمهوره الذي بدا مرتبكا إزاء هَذا الدَّاعية العابر للأنواع، والمُعبر عن نمط جديد مِن السلوك والتفكير غير المتطرف ولكنه محافظ، مع مراعاة أن الغضب تَشاركَ فِيه الجمهور الغاضب مِن نفوذ الدُّعاة الجُدُد والأقرب للعلمانية مع الجمهور التقليدي ذوي المزاج السّلفي، والمحبط مِن سلوك الدَّاعِيَة المُربك بالنسبة له..

إلى أين يسير؟

أغلب الظن أن نشاط معز مسعود وتأثيره هو والمراكز الداعمة له تسير فِي اتجاه لوبي أخلاقي محافظ فِي مجالات الفن والفكر أو المجالات المختلفة،

على نمط اللوبي الأمريكي الإنجيلي المحافظ فِي أمريكا، وهو لوبي يهدف إلَى التأثير فِي السُّـلطة فِي مستوياتها العليا، وفِي النخبة فِي مستوياتها المختلفة.. أمّا معز مسـعود نفسـه فمن الصعب أن يوصَف بأنه "داعية إسلامي" في قادم الأيام.

مصطفى حسني.. البحث عن هوية

رُغم أن معايير "الدّاعية الجديد" تنطبق عَلى أسماء عديدة عَلى ساحة الدّعوة؛ فإن مصطفى حسني هو ثالث ثلاثة تشتمل عليهم هَذه الدراسة بَعْدَ عمرو خالد، ومعز مسعود، وهو يسبق الأخير بمعيار الجماهيرية المباشرة؛ حَيْث يصل عدد متابعي صفحته عَلى "فيس بوك" لـ33 مليونًا، وهو يقترب بهذا الرقم مِن عمرو خالد الذي يَقُول إن عدد متابعيه يقترب مِن40 مليونًا، ويعتبر أن هَذا دليل عَلى بقاء شعبيته كما هي بَعْدَ ثورة 30 يونيو.

تحقق برامج مصطفى حسني نِسَب مشاهدة عالية، وكان مِن اللافت للنظر أن يكون هو الوحيد مِن بَيْنَ الدُّعَاة الثلاثة الذي ظَهَرَ عَلى شاشة التليفزيون فِي رمضان 2018م، بل إنّه ظَهَرَ عَلى شاشة كبيرة ومملوكة لجهات

تابعـة للدولة، قبلها وبأيام قليلة جدّا وفِي مايو2018م أيْضًا كَان مصطفى حسـني قَدْ أثار ضجة كبيرة عَلى وسـائل التواصل الاجتماعي حين دُعِيَ لإلقاء محاضرة لطلاب أكاديمية الشرطة كَان عنوانها "التضحية والفداء"، ورُغم أن مضمون المحاضرة كَان متماشـيًا بِكُلِّ تَأكِيد مع ما يريد مسئولو الأكاديمية توصيله؛ فإن الاستضافة أثارت ضجة كبيرة.

كانَتْ الضجة أساسًـا بَيْنَ عدد مِن المتخوّفين مِن عودة الدُّعاة الجُدُد، وكانَتْ بِشكل أكثر لَدَى المتخوفين مِن جذور للفكر الإخواني لَدَى مصطفى حسني، وكان البعض يرى أن ثَمَّةَ خديعة تتم، وشاعت عَلى مواقع التواصل الاجتماعـي مقاطع للفيديو كانَتْ بالتحديد مقطعـين، مِن برنامج واحد لمصطفى حسـني قدّمه فِي الفترة التي أعقبت قيام ثورة يناير، وكان يحمل اسـم "عـمار الأرض"، وكان المقطع الأول مقطعًا طويـلا يمتد إلَى حلقة كاملة يروي فِيه قصة القيادية الإخوانية زينب الغزالي، وكيف تحولت مِن اعتنـاق فِكْرَة تحرر المرأة إلَى أن تكون قيادية إخوانية، ويسـتعرض أجزاء مِن مذكراتها تتحدث فِيهَا عن التعذيب الذي تعرضت له فِي السـتينيات، حتّى يصل إلَى نهاية حياتها، وكان واضحًا جدّا انتماؤه لما سَـمّاه "الصحوة الإسلامية" و"المشروع الإسـلامي"، وهو أمْرٌ مفهوم، كَان المقطع الآخر يتحدث عن الرئيس التركي رجب طيب أردوغان باعتباره أيْضًا مِن النماذج التي يَجِب التوقف عندها).

ورُغم أن أصوات المعترضين عَلى وسـائل التواصل الاجتماعي كانَتْ عاليـة؛ فإنها لَمْ تؤدِ إلَى إيقاف برنامج مصطفى حسـني، ولا إلَى المسـاس بقدرته عَلى التواجد فِي المجال العام.

وكَان تفسيري الشخصي أن مَا قدّمه فِي الشهور التالية لثورة يناير كَان محاولة لمجاراة الاتجاه العام، الذي كَان يحتفي بجماعة "الإخوان المُسْلِمِين" وينتظـر صعودها للحُكم، وأن المَحَكَّ كَان فِي موقفه بَعْدَ 30يونيو؛ حَيْث تبرأ مِن الإخوان، ولم تعـد مراكز مؤثرة تدافع عنه، وتزكي وجوده حتّى إن دروسه ومعارفه الدّينيّة باتت تستخدم لتثبيت عقيدة ضباط الشرطة، وتذكيرهم أن استشهادهم فِي مواجهة الإرهاب له جانب دِينيّ اكيد.

الملاحظة الأساسية عَلى مصطفى حسني أنّه أقل الثلاثة تميزًا مِن حَيْث تكوّن ملامح شخصيته وتأثره بالروافد الخارجية، وقَدْ هاجمه داعية سلفي هـو خالد عبدالله، عام 2010م، وقال إنّه يتأثـر بالمتصوفة، وهو مَا يعتبره خطأ فِي العقيدة مِن وجهة نظره.

وهو تلميذ لعمرو خالد، يصغره عمريّا بجيل كامل، ويشكل مع معز مسعود الجيل الثالث مِن الدُّعَاة الجُدُد، وهو يكاد يكون بلا شخصية دعوية، أو مشروع متكامل، على عكس عمرو خالد، ومعز مسعود، اللذين انفتحا عَلى نمط الوعظ البُروتستانتي، وعلى تجارب مختلفة فِي التنمية البشرية والعمل الاجتماعي (في حالة عمرو خالـد)، والإنتاج الفني والبرامجي، والبحث

فِي اللاهوت (حالة معز مسعود).. يمكن القول إنّه منفتح عَلى تأثيرات مختلفة ولا مشروع لديه سوى الاستمرار فِي التواجد حسب الظروف المتاحة، ومن نافلة القول أن الجرعة الدّينيّة فِي برامجه الأخِيرَة قَدْ تراجعت لحساب الجرعة الاجْتماعيّة الإنْسَانية، وهي سِمَة باتت تميز الدُّعَاة الثلاثة الذين أشرنا إلَيْهِم آنفًا.

الإعجازيــون

لا يمكن الحديث عن الدُّعَاة الجُدُد فِي مصر، دون الحديث عن صيحات الإعجاز العلمي فِي القرآن والسُّنة، ولهذا أسْباب مُتَعَدّدة، أهمها ليس فقط التشابك بَيْنَ العالمين، ولكن أيْضًا كون خِطاب الإعجاز العلمي ليس نتاج المُؤَسّسة الدّينيّة الرسمية، وليس نتاج المَدْرَسَة الدعوية السلفية، وإنما يقع فِي منطقــة بَيْنَ المنطقتين، تجعله أقرب للخطاب الذي يتبناه الدُّعَاة الجُدُد، ويشــترك معهم فِي ثلاثة عوامل.. أولها الجمهور، وثانيها البُعد التجاري والتسويقي المرتبط بطرحه كمنتج إعلامي، وثالثها طبيعة الدُّعَاة أنْفُسهم أو مَن يتبنون مِثل هَذا الخِطاب، والتي تتشابه مع طبيعة الدُّعَاة الجُدُد مِن نواح عِدّة.

ورُغم أن المُجْتَمَع المصري عرف فِكْرَة الربط بَيْنَ العِلم والدِّين فِي وقت مبكر، أو بالتحديد مُنْذ عام 1957م حين أصدر عبدالرازق نوفل كتابه "العلم والدين"؛ فإن عوامل عدّة منعت أن يتحول الإعجاز العلمي لصيحة مِن صيحات التَّدَيُّن أو الدّعوة وقتها، لعل أبرزها عدم وجود أنماط التَّدَيُّن التي شاعت فيما بَعْدَ عند المصريين، ومحدودية وسائل الإعْلام وقتها، وعدم وجود النفط أو الدعم النفطي لأبحاث الإعجاز العلمي فِي القرآن والسُّنة.. وهو مِن وجهة نظري العامل الحاسم فِي انتشار فِكْرَة الإعجاز العلمي فِي القرآن والسُّنة؛ حَيْث أسست المَملكة العَرَبِيَّة السعودية الهيئة العلمية للإعجاز العلمي فِي أواخر ثمانينيات القَرْن المَاضِي، والتي تبنت وموّلت عَدَدًا كَبِيرًا مِن أبحاث الإعجاز العلمي فِي القرآن والسُّنة، وتحول الدكتور زغلول النجار أحَد العاملين فِيهَا إلَى أشْهَر دُعاة الإعجاز العلمي.

إذا عُدنا إلَى المَاضِي سَنَجِدُ أن عبدالرازق نوفل لَمْ يكن داعية بالمعنى الذي تم التعارف عَلَيْه فيما بَعْدُ، لَكِنّه دارس للزراعة عمل فِي الوظائف الحكومية، حتّى انتهى وكيلا لوزارة الاقتصاد، وقَدْ ألّفَ عدّة مؤلفات عن الإعجاز الرقمي فِي القرآن، وعن القرآن والعِلم.. وربما هَذا هو مَا استدعى رد الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزْهَر (1883-1963م) الذي رفض دَعاوَى الإعجاز العلمي فِي القرآن قائلا إن "القرآن ثابت وحقائق العِلم متغيرة".

وقد كَان هَذا هو نفس منطق الدكتورة عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ) التـي رفضت الفِكْرَة نفسـها حين طرحها الدكتـور مصطفى محمود عَلى صفحات مجلة "صباح الخير" فِي بدايه الستينيات.

على أن الأعوام الثلاثين الأخيرة شهدت إعادة إحياء لِفِكْرة الإعجاز العلمي فِي القرآن والسُّـنة، بعد تأسيس هيئة تحمل الاسم نفسه فِي جامعة الملك عبدالعزيز بالرياض، واضطلاع عدد مِن كبار العلماء والدُّعَاة فِي العالم الإسلامي بعضويتها التأسيسية كَان أشهرهم عَلى المستوى المصري الشيخ محمد متولي الشـعراوي، وعلى المستوى العربي الشيخ عبدالمجيد الزنداني مؤسس حزب الإصلاح فِي اليمن وزعيم جماعة الإخوان هناك، وفيما بَعْد قال الدكتور زغلول النجار أشهَر دُعاة الإعجاز العلمي إنّه عضو فِي اللجنة التأسيسة للهيئة، وإن كَان أغلب الظن أنّه أحَد الباحثين فِيها.

أيّا كَان موقعه فَقَدْ صـار الدكتور زغلول النجار (17نوفمبر 1933م) رمزًا لِفِكْرَة الإعجاز العلمي فِي القرآن، والسُّنة، وهو جيولوجي مصري خَرَجَ مِن مصر فِي منتصف الستينيات عقب الصِّدام بَيْنَ الرئيس عبدالناصر وجماعة "الإخوان المُسْلِمين" التي كَان عضوًا فيها، ومثله مِثل الآلاف مِن أعْضَـاء الجماعة، فَقَدْ حظـي بفرصة عمل فِي المملكة العَرَبِيَّة السـعودية، لكن فرصة العمل هَذه تطورت لتُسفر عن ذَلِك النشاط الدؤوب للرجُل للترويج لِفِكْرَة الإعجاز العلمي للقرآن والسُّنة.

وبِحَسَب تعريف هيئة الإعجاز العلمي نَفْسها فإن تعريف الإعجاز هو (الاعتقاد بأن النّص القرآني أخبر بحقائق كونية لَمْ تكن مدركة للبشر فِي المَاضِي، وأثبتها العِلم لاحقًا، والبناء عليها بما يتسق مع إيمان المُسْلِمِين بأن القرآن معجزة، ودليل عَلى نبوّة محمد بن عبدالله).

إن فِكْرَة الإعجاز تقوم عَلى احتواء النّص القرآني عَلى حقائق علمية مخبأة فِي داخله، هَذه الحقائق كشفها العِلم الحديث فيما بعد، وهي دليل عَلى إحاطة القرآن بِكُلِّ حقائق الكون مِن ناحِيَة، وهي أيْضًا دليل عَلى أنّه ليس كلام بَشر، كما كَان يدّعي رافضو الرسالة المحمدية، إذَن مِن أين سيعرف النبي الأمّي هَذه الحقائق المختبأة داخل النّص القرآني والتي كشفها العلم الحديث فيما بَعْدُ.

لم يكن زغلول النجار وحده هو الذي تصدّي للحديث عن الإعجاز العلمي للقرآن والسُّنة، ولكن شاركه باحث كندي مسلم هو موريس بكاي.. الذي أجرى أبحاثه برعاية سعودية، وقَدْ وصفت الهيئات العلمية أبحاث الإعجاز العلمي فِي القرآن بأنها تنتمي إلَى العِلم الزائف، بمعنى أنها تضم معلومات غير حقيقة..

أمّا عَلى المستوى العربي فَقَدْ كَان الدَّاعِيَة اليمني عبدالمجيد الزنداني (1942م) أشهر دُعاة الإعجاز العلمي، وهو داعية وزعيم سياسي لتيار "الإخوان المُسْلِمِين" فِي اليمن، وهو خريج كلية صيدلة الأزْهَر بالقاهرة

وقَدْ اشـتهر بشيئين اتضح أن كليهما كاذب، أولهما هو حديثه عن اكتشافه علاجًـا لمرض الإيدز، وثانيهما حديثه عن لقاءات مُتَعَدِّدَة جمعته بعدد مِن مشاهير العلماء فِي العالم الغربي اعترفوا له خلالها بحجية دَعاوَى الإعجاز العلمـي فِي القرآن، وآمنـوا فِيهَا عَلى حديثه، وقَدْ كَان أشْـهَر هَؤُلاء رائد الفضاء "نيل آرمسترونج" أول بشري تطأ قدمه أرض القمر، لكن اتضح أن اللقاءات لَمْ تتم سوى فِي خيال الدَّاعِيَة الزنداني.

إذا عُدنا إلَى مصر سَـنَجِدُ أن فِكْرَة الإعجاز العلمي فِي القرآن والسُّنة حققت رواجًا كَبِيرًا فِي ربع القرن الأخير، الذي شهد صعود ظاهِرَة الدُّعَاة الجُدُد، وقَدْ مَهّد لها الشيخ الشعراوي الذي كَان داعمًا للفِكْرَة وكان يطرز بها دروسه الشهيرة فِي التفسير، وقَدْ تبنت جريدة الأهرام كبرى الجرائد الرسمية فِي بِدَايَات هَذا القَرْن نشر مقالات الدَّاعِيَة الإعجازي زغلول النجار، وقَدْ أثار هَذا اعتراضات بعض كبار الكُتّاب فِي الجريدة، على أسـاس أن المادة التي ينشرها زغلول النجار هي مادة مشكوك فِي علميتها، ولكنّ مسئولي الإعلانات فِي الجريدة احتجوا بأن العدد الذي تنشر فِيه المقالة الأسبوعية هو أكثر الأعداد جلبًا للإعلانات وأعلاها توزيعًا.

على أن فِكْرَة الإعجاز العلمي فقدت جاذبيتها عَلى مدى سنوات لأسباب مُتَعَدِّدَة، مِنْها تراجع المَد الدِّيني أو نمط التَّدَيُّن الشَـكْلِي مع سقوط جماعة "الإخوان المسلمين"، ونموّ الحِسّ النقدي لَدَى الجمهور مع اتساع المعارف،

وثورة وسائل التواصل الاجتماعي، وقَدْ شهد عام 2017م مواجهة بَيْنَ طلاب جامعة فاس المغربية وبين الدَّاعِيَة الإعجازي زغلول النجار، لكن طلاب كلية العلوم اعترضوا عَلى وجوده، وعلى اعتبار مَا يَقُول نوعًا مِن العِلم؛ حَيْث أراد أن يوجد منطقًا علميّا لِفِكْرَة فرض الحجاب عَلى النساء المسلمات فقال إنّه يقي مِن أشعة الشمس فوق البنفسجية.. فسألته إحدى الطالبات.. ولماذا لَا ترتديه أنت؟!

أيّا كَان نوع اعتراضات الطلاب فَقَدْ كَان ذَلِك مؤشرًا ذات دلالة.. والحقيقة أن دَعاوَى الإعجاز العلمي لا تحتاج إلَى مجهود كبير لاكتشاف مدى تلفيقها، وعدم جديتها؛ حَيْث تروّج لمجموعة مِن الافتراضات غير المنطقية بدءًا مِن تنبؤ القرآن بأهمية المياه للحياة، مرورًا بشرحه لكيفية تكوين اللبن، وكشفه لحقيقة انخفاض الأوكسجين فِي طبقات الجو العليا، وتنبؤه بنظام المجموعة الشمسية.. إلخ..

وإذَا كَان الدكتور زغلول النجار هو الأشهَر في مجال الإعجاز العلمي فِي القرآن، فإن الدكتور عبدالباسط عبدالمعطي اختص نفسه بمجال الطب النبوي والإعجاز العلمي فِي الحديث، وهو باحث فِي المركز القومي للبحوث سافر إلَى السعودية أيضًا، وهناك انخرط فِي مجموعة أبحاث كَان أهمها بحث عن تَمْر النخيل، ودوره فِي علاج السرطان.

أهميه الدكتور عبدالباسط تنبع مِن كونه كَان رئيسًا للجنة الدّينيّة فِي

نــادي الصيد، وهو أحد مراكز الدّعوة الجديدة المهمة، وقَدْ مكنه هَذا مِن أن يكــون أســتاذًا لعدد كبير مِن الدّعاة الذين آمنــوا بأفكاره حول الطب النبوي، ونشروها..

الدكتور عبدالمعطي هو صاحب نظريه تقول إن إفرازات العَرَق تؤدي للشفاء مِن العَمَى، وهو يستمد هَذه النظرية مِن قصة سيدنا يعقوب الذي استعاد بصره بَعْدَ أن ألقوا عَلى وجهه بقميص ابنه يوسف الذي كَان يحتوي عَلى إفرازات العَرَق..

الدكتور عبدالمعطي له اكتشــافات أخْرَى مِنْها "الريجيم الإســلامي"، وهو مستوحى مِن النظام الغذائي للرسول (ﷺ)؛ حَيْث اكتشف الدكتور عبدالمعطي أن هَذا النظام الغذائي يحتوي عَلى عدد السُّعرات المناسب تَمامًا للجسم.

الإعجاز لمدارة العجز

وبَعِيدًا عن الأمثلة المختلفة والمُتَعَدِّدَة لخطابات الإعجاز العلمي، وبَعِيدًا عن مدى جديتها أو هزلها، يبقى مِن المهم أن نفهم سِرَّ ذيوع فِكْرَة الإعجاز العلمي وازدهارها كل هَذا الازدهار أن أفضل تفسير لهذا الذيوع للفِكْرَة، هو أنها وسيلة رخيصة وسهلة لتحقيق انتصار مجاني عَلى الغرب..

إذ إن العقل العربي والمسـلم لَا يَسأل نفسَه لماذا يتفوق علينا الغرب؟ ويقفز مباشرة للسؤال "بماذا يتفوق علينا الغرب؟".

وفي حالة السُّؤَال الأول (لماذا؟)؛ فإن الإجابة ستكون أن الغرب يتفوق لأنه مَرَّ بمراحل تطور، ولأنهم فِي الغرب يعملون ويكدحون.. إلخ، أمّا فِي حالة السُّؤَال الثاني (بماذا؟)؛ فإن الإجابة تكون أن الغرب يتفوق بالعِلم.. إذن ماذا لو قلنا إن العِلم وأسراره موجودان لدينا مُنْذ 14 قرنًا، بل إن الله قَدْ اختصنا بها.. فِي هَذه الحالة سنكون نحن أفضل مِن الغرب..

إن هَـذه الفِكرة تبدو مناسـبة تَمامًا للمجتمعـات النفطية الريعية التي تملك الثروة، وتظن أنها تملك الدِّينَ، ولم يبقَ إلا أن تملك العِلم.. إن هَذا

يبدو متسقًا تَمامًا مع الفِكْرَة التي تقول إن الله سَخّرَ الغربَ لنا كي يخدمنا.. بينما ننعَم نحن بناتج عمل الغرب.

ختام

نستطيعُ أن نقولَ فِي النهايةِ إنّ ظاهِرَةَ التَّدَيُّن الجديد لَمْ تَعُد عَلى الشّكل نفسِه الذي كانَتْ عَليه عِندَ ولادتها فِي تِسعينيّات القَرْن المَاضي.. ويرجع ذَلِك لعدة اعتبارات.. أولُ هَذه الاعتبارات أن الظاهِرَة وُلِدَتْ كمُحاولة لتجسير الفجوة بَيْنَ النُّخبة الحاكمة فِي مِصر والعالم العربي، وبين جماعة "الإخوان المُسلِمِين" مِن خلال نمط تَدَيُّن غير راديكالي يخاطب الفئات الاجتماعيّة الصاعدة اقتصاديّا.. ويُطمئن النُّخَب الحاكمة إلَى أنّه لا ينازعها السُّلطة بقَدْر مَا يهدفُ إلَى تلوينها بلون محافظ.. كانَتْ تِلكَ الفِكْرَةُ مُستمدَّةً مِن النموذج الأمريكي الذي شَكّل فِيه مبشرو التليفزيون ظهيرًا سياسيّا وفكريّا للنّخَب الحاكمة، ولعبوا أدوارًا مهمة فِي التحذير مِن الخطر الشيوعي،

وتجذير الأفكار الرأسمالية وربطها بنمَط التَّدَيُّن المحافظ، فضلًا عن لعبهم أدوارًا أكثر مباشرة مِثل القيام بدور الإرشاد الروحي لبعض الرؤساء الأمريكيين والكثير مِن رموز النخبة الأمريكية، أو الانضمام لحملات بعض المرشحين مثلما هو حال المبشرة "بولا وايت" التي كانَتْ جزءًا مِن حملة الرئيس ترامب.

كَانَ ظهور الدُّعَاة الجُدُد فِي مصر فِي التِّسعينيّات تعبيرًا عن النفوذ الاجتماعي والسياسي لجماعة "الإخوان المُسْلِمِين"، ومحاولة لصبغ النخبة الاجتماعيّة والاقتصادية والسياسية بصبغة إسلامية محافظة دون مساس بأوضاعها.. وقَدْ لقي المشروع تأييدًا مِن الطرفين (السُّلطة والجماعة)، كما كَان له معارضون مِن الطرفين أيْضًا.

وفيما بَعْدَ ثورة 30يونيو شاعت تفسيرات قريبة مِن المُؤَسّسة الأمنية تقول بأن الدُّعَاة الجُدُد كانوا ينفذون خطة باسْم "اختراق الصفوة" لحساب جماعة "الإخوان المُسْلِمِين"، وكانَتْ تقوم عَلى ضم عناصر مِن النخبة لعضوية الجماعة، وفيما قبل ذَلِك لَمْ يعارض الدُّعَاة سوى أصوات ليبرالية ونقدية رَأتْ فيما يقومون به محاولة للأسلمة مِن أسفل ولصبغ حياة المِصرِيِّين بالصبغة الدّينيّة.. ورُغم حدوث تجاذبات بَيْنَ بعض هَؤُلاء الدُّعاة وبين جهات الإدارة الآن أن جسور التواصل؛ كانَتْ مفتوحة وجولات التفاهم تكاد

تتعادل مع مرّات الصِّدام، وكان هَؤُلاء الدُّعَاة جزءًا مِن السُّلطة الحاكمة بمعناهـا الاجتماعي والاقتصادي، فضلا عن وجود أنصار لهم فِي جهات ومراكز مختلفة فِي جَسَد الدّولة المِصريّة قبل 30يونيو.

ونستطيع أن نقول إن الوضع اختلف جذريّا بَعْدَ 30يونيو لاعتبارات مُتَعـدِّدة، أهَمُّ هَذه الاعتبارات أن الدّولة اتخـذت قرار المواجهة الجذرية مع جماعة "الإخوان المُسْلِمِين" وامتداداتها المختلفة فِي الدُّعَاة الجُدُد.. وقد انعكس هَذا عَلى أوضاع هَؤُلاء الدُّعَاة ومساحات الحركة الممنوحة لهم التي قَلّتْ بالمقارنة بما كَان عَليه الوضع قبل ثورة يناير 2011م؛ حَيْث كَان يتاح لهم الحركة كجزء مِن النخب الحاكمة وليس كمكون مِن خارجها.

من الاعتبارات الأخرى أيْضًا زيادة مساحة الوعي النقدي لَدَى المصريين، وانتفاء صفة القداسة التي كَان يتمتع بها مِن يَتحدّثون باسم الدين، وانتشار وسـائل التواصل الاجتماعي وما تتيحه للمواطنين مِن مسـاحات للنقد والتعليق عَلى تصرفات وآراء هَؤُلاء الدُّعاة.

بالإضافة إلَى ذَلِك؛ فإن دُخول المُجْتَمَع المصري فِي مواجهة مع جماعة الإخوان، ولجوء عدد مِن كوادر الجماعة إلَى تشكيل التنظيمات الإرهابيّة شَكّلَ لحظة مفارقة، تختلف جذريّا عن لحظة معاكسة هي صعود الدُّعاة الجُدُد مع مبادرة وقف العنف

التي أعلنتها الجماعة الإسلامية، وكأن العلاقة عكسية بَيْن الظاهرتين.

يمكن القول أيْضًا إنّه رُغْمَ تراجُع تأثير هَؤُلاء الدّعاة فِي المجال العام، وتراجُع مساحات تقديسهم، أو الانبهار بهم، ورُغم تراجُع المكاسب المعنوية والمادية التي كانوا يحققونها فِي سنوات ما قبل يونيو 2013م؛ فإنّه لا يزال لهم وجود مؤثر فِي السوق الدِّينِية.. ويرجع هَذا بالأساس إلَى حالة الفراغ الثقافي والروحي التي تعيش فِيهَا الطبَقات الوُسْطى المصرية، فضلا عن طبيعة المِصْرِيّين التي تضع الدِّين فِي مكانة معنوية سامية، فضلا عن عدم وجود محاولات جادة لتجديد الفكر الدِّيني أو إصلاح الخِطاب الدِّيني.

وإذَا انتقلنا للمستوى العالمي، أو للأصل الذي تم اقتباس ظاهرة الدُّعاة الجُدُد منه فسنجد أن ظاهرة "مبشري الهواء" في الولايات المتحدة الأمريكية اتجهت هي أيْضًا للتراجُع خلال السنوات السبع الأخِيرَة بَعْدَ أن وقع العديد مِن نجومها فِي هوّة ارتكاب تجاوزات مالية وأخلاقية انتهت ببعضهم للمحاكمة بتهمة النصب، وأدت إلَى توسع الصحافة الأمريكية فِي نشر التقارير عن الانتهاكات الأخلاقية لهذا النوع مِن رجال الدين.

نستطيع أن نقول إن ظاهِرة الدُعاة الجُدُد بالشكل الذي عَرفَها به المصريون فِي تِسعينيّات القَرْن المَاضِي قَدْ انتهتْ، وإنْ كَان هَذا لا يعني أنها تعيد إنتاج

نَفْسِها فِي انتظار انتهاء الظرف الضاغط الذي يمنعها مِن التمدُّد، ولا يبدو حتّى الآن أن هناك نموذجًا بديلًا يَصلح لملء الفراغ، ولعلّ هَذا يقودنا لحديثٍ واسِع عن تجديد الفِكر الدّيني إن شاء الله.

(تم)